العدد الثانى

السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربى
سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٠٥

الاشتراكات
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف اليها أجرة
البريد خارج القطر

ربيع الثانى سنة ١٣٧٣

ديسمبر سنة ١٩٥٣

خصائص قيادة الأنبياء

الزعماء المصلحون فى التاريخ صنفان :

زعماء أنبياء .

وزعماء غير أنبياء .

وفارق ما بين الصنفين عظيم ، وعظمته أوضح ما تكون حين يكون معنى النبوة هو « علامة التميز » للنبى الزعيم ، وحين يصدق إيمان الناس بأن لدنياهم هذه — على سعتها — إلـهاً واحداً يحكمها ، وحين يتأثرون بهذا الإيمان تأثراً يحكمهم فى كل ما يرون ويحسون ؛ فالكون كله مظهر قدرته ، ونظامه الهائل الدقيق برهان حكمته ، وسنن الحياة الدائبة أجراها سبحانه بمحض مشيئته ، وحقائق القوى الرهيبة التى وقف العلم حيالها يعرف بعض خصائصها ولا يدرك كنهها : هى سر صنعته . . . . وكل ذلك — على جلاله — مسرح قصة قديمة بدأت من لدن آدم ، وستنتهى بنهاية هذا الكون الذى نرى ، وبطلها أنت أيها الإنسان ، أنت يا ابن « آدم » الذى بدأت به القصة ، يامن تولد ولا أمر لك ، وتموت ولا أمر لك ، مهما لبست ومهما طعمت ومهما علمت ، وفى أى زمن أو بلد عشت أو مت ، وحياتك بين مولدك وموتك فترة ابتلاء

العلوم والسنن الالهية

لأبى نعمان المهاجر

(٢)

« لله فى كونه نواميس لا تحابى أحداً من الناس ! ! »

إن الإيمان بالسنن الإلهية فى هذا الكون يدفع العقول إلى البحث عن أسرار هذه السنن فى كل شأن من شئون الطبيعة، وكل جانب من جوانب الحياة الإنسانية ، فيتسعُ بذلك المجال أمام العقول وتُكشف أمامها أسرار الخليقة وتنحل رُموزها الغامضة ، ويبدو العالم فى كل ذرة من ذراته متسق النظام ، عجيباً رائعاً معجزا .

وعندما تبدو للعين الإنسانية حقائق الكون ، وتنكشف لها أسراره يملك الإنسان حينئذ مفاتيح الطبيعة ، ويسيطر على ما فيها من القوى والإمكانيات ، وتصبح له السيادة فى هذا الكون ، وتتحقق له خلافة الله فى هذه الأرض ؛ ذلك أن الكون كتاب إلهى مفتوح ملىء بالعبر والآيات والمعجزات ، وقد هيأ الله له العقل الإنسانى ليقرأه ويتصفحه ويكشف أسراره ويجعل منه ذريعة إلى الاتصال بروح الله ،والانسجام مع إرادته ومشيئته ، والبلوغ بهذا العالم إلى الذروة من الكمال والتهذيب والإعجاز .

ومن آيات الله الرائعة فى هذا الكون أن كل ظاهرة من ظواهره ترتبط بعللها وأسبابها ، ومن هذه العلل والأسباب تتكون القواعد والكليات ، وتصبح سلاحاً فى يد الإنسان يملك بها أن يتصرف بكنوز الطبيعة وينتفع بها ؛ ويأخذ منها حظه الأوفى من السعادة والقوة .

إن الارتباط بين السبب والمسبب ضرب من قدر الله وآية من آياته تعبر عن مشيئته الماضية وحكمته البالغة التى لا تتغير ولا تتبدل. إن الله هو الخالق لهذا الارتباط الدائم الذى نراه بين الأسباب والمسببات ، فمعنى ذلك أن هذه هى مشيئته الخالدة ، وأنه سبحانه أراد أن تكون ظواهر الكون وإمكانياته جارية على هذا النسق ، سائرة

فى هذا النهج ، وأن يكون الإنسان نفسه متمشياً فى حياته الخاصة والعامة ، وفى علاقته بالطبيعة على مقتضى هذه القواعد الكلية والسنن الأزلية ، التى تعبر عن مشيئة الله أصدق تعبير .

ولما كانت هذه السنن الأزلية تنزل من إرادة الله هذه المنزلة السامية جعل من طبيعتها أنها تتجلى وتنكشف لكل ذى عقل من بنى الإنسان ، وجعل فى نظرة الإنسان القدرة على اكتشافها وإدراكها مباشرة بدون واسطة الأنبياء والرسل .

ولقد ترتب على ذلك أنه إذ جعل سبحانه فى فطرة العقل الاهتداء إليها وإلى مقتضياتها وواجباتها قدّر أن يكون العقاب على الإعراض عنها والتمرد عليها عقاباً سريعاً ، يجعل المصاب به عبرة لذوى العقول حتى لا يقعوا فيما وقع فيه .

فمن هذه السنن ما هو ظاهر جلى تدركه بديهة العقل الإنسانى ، حتى فى عهود فطرته الأولى ؛ وذلك كالإدراك بأن فطرة الإنسان وقواه البدنية ، تعجز عن مقاومة قوى الكون الطبيعية القاسية من الحر والبرد والرياح والعواصف ، وما أشبه ذلك ، إلا إذا استعان الإنسان عليها بوسائل طبيعية أخرى فاصطنع لذلك الكساء وأقام الأبنية ، وشيد المدن والقرى ، وطلب النجاة من جوائح الطبيعة بأسباب طبيعية تتفق مع سنن الله ، فإن الله الذى خلق الضعف فى فطرة الجسم الإنسانى إزاء الطبيعة منحه قوة فى إدراكه الذهنى لمقاومة الأخطار التى تحيط به .

ومن هذه السنن ما هو خفى لا يتجلى للإنسان ، ولا تتبين أسراره وأسبابه ، ونتائجه إلا بالتفكير العميق والتجربة والملاحظة والتنظيم ؛ وذلك كدقائق العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها . فهذا النوع من السنن تتجلى مشيئة الله فيه كما تتجلى فى غيره ، ويوجب على العقل الإنسانى أن يعنى به ، ويكشف عن أسراره ، ويسير على مقتضاه ، وإلا نالته العقوبة السريعة وذاق وبال جهله وغفلته وإهماله .

وإذا تقرر أن النواميس تمثل إرادة الله ، وأن كل ذرة من ذرات هذا الكون تخضع لها وجب حينئذ أن تتقرر الأهمية القصوى لإدراك ما خفى من هذه النواميس ، والاستفادة منها والسير على مقتضاها ، وذلك لا يكون إلا بالتزود من شتى المعارف الإنسانية التى بلغ إليها العصر الحديث ؛ فليست العلوم الحديثة إلا تسجيلاً لسنن الله

فى هذا العالم . وإذن فالواجب على المسلمين أن يتزودوا من كافة المعارف الإنسانية ، وأن يرسموا خططهم فى حياتهم ونهضتهم والدفاع عن أنفسهم على الأسس العلمية التى تمثل النواميس الإلهية .

إن على المسلمين ألاَّ يسمحوا ببقاء هذا التفاوت الهائل بينهم وبين خصومهم فى مجال العلوم والمعارف ، وربط الأسباب بالمسببات ، فإنهم أولى من سواهم بالسير على مشيئة الله ، وليعلموا أن السنن الإلهية لا تحابى ولا تداجى ولا تغيِّر وجهتها لأجل أحد من الناس كائنا من كان .

وليتذكروا أن نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام كان يتخذ الوسائل الطبيعية فى مقاومة أعدائه المشركين ، وهو حبيب الله وصفيه ، ولو شاء الله لخسف بأعدائه الأرض وأراح محمدا وأصحابه الأبرار من عناء الكفاح والنضال ، ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لأنه جل وعز قد جعل لكل شىء سنة وسبباً .

لما اجتمعت جموع الأحزاب للقضاء على نبى الإسلام وأصحابه ، وتشاور محمد وأصحابه فى ذلك الخطر المحيط بهم ، أشار عليه بعضهم بحفر خندق حول المدينة ، وكان ذلك شيئاً جديداً على العرب ، فأمر أصحابه جميعا أن يساهموا فى القيام بهذه العملية الشاقة ، وكان عليه الصلاة والسلام هو الطليعة والقدوة ، ولما أحسَّ بالجوع عصب بطنه بالحجارة وأخذ يحمل المعول ، ويضرب الصخور حتى يتطاير الشرر منها ، ورأى المنافقون هذا العناء الشديد الذى يتحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم !

(يتبع)

أصلح نفسك

لايستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لايعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يصلح عيوب نفسه ، فإذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد فى نفسه عيباً آخر ينبغى أن يصلحه ، فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره .

« الحسن البصرى »

اتجاهات الفلسفة الإسلامية

وكيفية مجابهة الأفكار الحديثة فى المجتمعات الإسلامية

للأستاذ الدكتور محمد البهى

أستاذ الفلسفة بكلية اللغة العربية

١ — مقدمة :

إن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانا مسرحا لحركة الفكر الإسلامى فى رقعة الشرق الأوسط والأدنى ، بعد ما كان التفكير الإسلامى قبل ذلك يسير فى دائرة الماضى لا يحيد عنها .

إذ المعروف فى تاريخ الفكر الإسلامى واتجاهاته أن قادة المسلمين وأئمتهم كانوا يتبعون مدرسة من المدارس الفقهية أو الكلامية التى تأسست فى القرون الثلاثة الأول ، وأنهم كانوا يلتزمون تعاليم المدرسة المتبَعة ويسيرون فى استنباطهم وفق الأصول التى سار عليها إمام هذه المدرسة . ويكاد يكون عمل هؤلاء التابعين منحصراً فى دائرة شرح أفكار المدرسة ، أو فى إخضاع حادث جديد لقاعدة عامة سبقت بحكم المشابهة والمماثلة لجزئية أخرى من جزئيات هذه القاعدة .

وسار الأمر فى التفكير الإسلامى على هذا النحو إلى زمن ابن القيم وابن تيمية (فى القرن الرابع عشر الميلادى) . وهنا فى هذا الوقت عن طريق هذين المفكرين تحول أمر التبعية السابقة لمدرسة من المدارس التى تكونت فى الزمن المشار إليه آنفا إلى « الانتخاب » وأصبح اتجاه التفكير يختلف منذ الآن لذلك عما مضى ؛ فالانتخاب ليس تقليداً لرأى ولا لفكرة معينة ولا مجاراة لتعاليم مدرسة بذاتها ، وإنما يقوم أمره على « النقد » والناتج عن عملية النقد العقلى هذه هو ذلك القدر المنتخب الذى ينسب إلى الناقد ويتميز الناقد به .

ابن القيم وابن تيمية إذن هما اللذان استخدما النقد العقلى فى تقويم الأفكار الإسلامية ، سواء منها ما يتصل بالجماعة وتوجيهها أو ما يتصل بذات الخالق وصلته

بالمخلوقين . ويعتبر الطريق الذى سلكاه تمهيداً للحركات الإسلامية العقلية التى جدت فيما بعد ، أو تعتبر هذه الحركات تطوراً للعمل الذى قاما به .

فإذا كان القرآن الكريم يمثل مرحلة من مراحل التوجيه الإسلامى فإن مرحلة تكوين المدارس الفقهية والكلامية تعد المرحلة الثانية فيه ، كما تعد مرحلة التبعية والتقليد لهذه المدارس المرحلة الثالثة . وكذا بالتالى يعتبر عصر ابن تيمية وابن القيم ممثلا للمرحلة الرابعة فى هذا التوجيه . ثم الحركات الإسلامية الأخيرة تعتبر إمّا مرحلة خامسة أو استمرارا فى صورة واسعة للمرحلة الرابعة السابقة عليها .

٢ — نشأة الاتجاهات الإسلامية المعاصرة وأهدافها :

فى القرن الثامن عشر الميلادى ظهرت الحركة الوهابية ويتزعمها محمد بن عبد الوهاب فى نجد .

وفى القرن التاسع عشر ظهرت الحركة السلفية فى مصر على يد جمال الدين الأفغانى (المتوفى سنة ١٨٩٧) ومحمد عبده (المتوفى سنة ١٩٠٥) .

وفى الهند ظهرت مدرسة أحمد خان (الذى ولد سنة ١٨١٧) وتزعمها من بعده محمد إقبال (المتوفى سنة ١٩٣٨) .

وفى برقة ظهرت الحركة السنوسية التى قام بها وتحمل فى سبيل نشرها الجد الأكبر لملك ليبيا الحالى .

هذه الحركات وأمثالها التى ظهرت فى الشرق الأوسط والأدنى ، وفى القرنين الثامن والتاسع عشر ، تعد اتجاهات للفكر الإسلامى فى الوقت المعاصر . وما يجد من آراء وتوجيهات على أساس من الفكر الإسلامى يعتبر الآن صدًى لهذه الحركات .

الحركة السلفية فى مصر :

إن جمال الدين الأفغانى أحد مؤسسى الحركة السلفية فى مصر ، عندما حل بمصر كانت أحاديثه وتوجيهاته عبارة عن كشف آثار الاستعمار الإنجليزى فى الشعوب الإسلامية . فقد أوضح هذه الآثار وهى آثار ضارة بتلك الشعوب فى جوانب

الحياة الإسلامية الرئيسية : أوضح ضررها فى التوجيه الفكرى للمسلمين والتوجيه الروحى ، وأوضح ضررها فى الجانب الاقتصادى من حياة المسلمين ، والجانب الاجتماعى ، وغير ذلك من الجوانب الهامة . وكان العلاج الذى يقترحه دائماً هو تمسك المسلمين بإسلامهم وعلى وجه أخص الجهاد فى سبيل الله والقيام به ؛ لأنه كان يرى ضرورة الثورة على الاستعمار فى غير هوادة ولين ؛ لأنه كما اعتقد هو مصدر الفساد والضعف فى الحياة الخاصة والعامة للأمة الإسلامية فى آسيا وفى أفريقيا .

والشيخ محمد عبده عندما اتجه فى الطريق إلى الغاية التى حددها جمال الدين الأفغانى وهى محاربة الاستعمار لم ير الوسيلة التى كان يشجع جمال الدين على اتخاذها ، وهى إعلان الثورة الدينية على المستعمر باسم الجهاد فى سبيل الله ، وإن كان يشارك أستاذه جمال الدين فى تقرير أن العلاج لخروج المسلمين من حالتهم إذ ذاك ، وهى حالة الضعة والذلة والتخلف عن ركب الحضارة الإنسانية ، هو التمسك بالإسلام ، إلا أنه سار شوطاً أبعد مما وقف عنده جمال الدين فى ذلك .



محمد عبده أراد أولاً أن يحدد ما هو الإسلام الذى يجب أن يلجأ إليه المسلمون فى الخروج من حالتهم المشار إليها ، ووصل فى تحديده إلى أنه ليس ذلك الذى يتمسك به المسلمون فى ذلك الوقت من تقاليد ، وليس تلك الأفهام التى كانت لمتأخرى المسلمين فى الإسلام ؛ وإنما هو الإسلام كما فهمه المسلمون الأول . إذ أفهام المتأخرين من المسلمين للإسلام كانت تحت تأثرهم بأحداث الوقت الذى يعيشون فيه . وهى أحداث من شأنها أن تبعد العلماء عن أن يروا الرأى الصحيح ، ويفهموا الفهم الواضح فى تعاليم الإسلام . فالسلطان فى ذلك الوقت كان سلطاناً فى المظهر فحسب ، أما تسيير دفة الحياة إذ ذاك فلم يكن وفق ماينادى به الإسلام ويأمر به المسلمين .

ثم عند ما حدد الشيخ محمد عبده الإسلام الذى يجب أن يتمسك به المسلمون ، رأى أن اتخاذ الثورة وسيلة فى إخراج المستعمر من بلاد الشعوب الإسلامية يتصل بالعاطفة والحماس الوقتى أكثر مما يتصل بواقع الأمر ؛ ولذا رأى أن يتخذ المسلمون وقادتهم أسلوباً آخر هو ما اتخذه المسلمون الأول فى تكوين جماعتهم . وهو تنشئة المسلمين وتربيتهم وتوجيههم بأفكار إسلامية سليمة بعيدة عن الانحراف فى فهمها وبعد تخليتها مما علق بها من دخيل منذ زمن طويل .

ولكى يضرب الشيخ محمد عبده مثلا عملياً لتجديد الإسلام الذى أراده وتخليته مما اتصل به على مر الزمن من أفكار دخيلة أو مريضة — عمد إلى تأليف بعض الكتب فى العقيدة ، كما شرح بعض الكتب العقلية المتداولة ؛ فألف مثلا رسالة « التوحيد » فى العقيدة وشرح كتاب « البصائر النصيرية » وحاول تفسير القرآن الكريم على نمط اعتبر جديداً فى وقته ، ونهج عليه من بعده كثيرون آخرون . كما أنشأ بعض المدارس فى مصر وفى بيروت وهى تلك التى تسمى بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية .

وهو بهذا وذاك أراد أن ييسر الطريق للعمل العقلى فى الإسلام ، ويضع نواة للمنهج العملى لتربية الناشئة وتوجيهها .

وهكذا الشأن فى كل ماسار فيه كان يرمى إلى توضيح مبدأين أساسيين :

(أ) مناوأة التقليد ، ودفع الباحثين إلى الاستقلال فى البحث والفهم إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، سواء أكانت تلك الاستطاعة عن طريق إعدادهم العلمى أو استعدادهم العقلى . ويذهب فى بيان مضار التقليد ومناوأته إلى أن الإسلام نفسه كدين لم يقم على التقليد . وهنا يصرح بأن الاجتهاد « ضرورة عقلية ودينية » .

(ب) تأكيد « حرية الفرد واختياره فى أفعاله » . إذ أن ربط الإنسان فى تصرفاته بغيره على الإطلاق لايتفق وتكريم الله للإنسان ، كما أن الفرد الحر المختار هو اللبنة الإيجابية فى بناء المجتمع الإنسانى المنتج . والإسلام فى نظره لم يهدف إلى خلق مجتمع عاقل مشلول ، بل قصد إلى مجتمع تعمره الحياة والحركة ، ويتجه فى سيره إلى الخير العام .

ومن أجل إقرار الشيخ محمد عبده لهذين المبدأين وتأكيده لهما فى كتبه وبحوثه رُمِىَ من منافسيه فى وقته بالإلحاد والخروج عن العقيدة ، مع أن الشيخ فى واقع أمره لم يأت بجديد فى ذلك زيادة عن الأسس التى قام عليها عمل ابن القيم ؛ « فالنقد » العلمى الذى نسب إلى ابن تيمية قبله يتضمن من الوجهة العملية إقرار الاجتهاد ومناوأة التقليد ، كما يتضمن الاعتراف بحرية الإنسان فى اختياره .

« يتبع »

طريفة :

من فقه الكتاب

حدثني المرشد الشهيد الأستاذ حسن البنا رحمه الله ، أن جماعة زاروه وهو منهمك بأمر هام جدا فى غرفة أخرى مع بعض أهله . . . فأمر أن تُعد لهم القهوة ، ومكث حتى شربوها دون أن يخرج إليهم ، ثم خرج إليهم وجلس يقدم عذره بأنه لا يستطيع أن يجلس معهم كثيرا لاضطراره إلى استئناف النظر فى أمر هام مع آخرين ، فغضبوا — وكانوا من الأصدقاء لا من الإخوان — ، واعتبروا ذلك إهانة . . . ، فقال لهم : نحتكم إلى كتاب الله : لقد أمر الإسلام بالاستئناس ، وأنتم لم تستأنسوا ، فقد تأخرت عنكم ، وأخرجت لكم القهوة بدون حضورى ؛ وذلك موجب للانصراف لدى بصائر المستأنسين . . .

هذه واحدة ، أما الأخرى فإن الله تعالى يقول : « فإن قيل لكم : ارجعوا ، فارجعوا هو أزكى لكم » وأنا لم أقل ارجعوا ، بل قدمت القهوة ، وجئت أعتذر . . . فإذا كنتم تغضبون لما فعلت فكيف يكون غضبكم لو أنى أمرتكم بما هو أزكى لكم فقلت : ارجعوا كما أمر الله عز وجل ؟ .

قال رضى الله عنه — وكانوا من أهل الفقه — فسُرُّوا بذلك كثيرا ، وانصرفوا شاكرين . . .

البهى الخولى

الجامعة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٣)

١ — إن الجامعة الإسلامية[١] هى الوحدة الإسلامية ، هى تحقيق معنى قول الله تعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » هى تحقيق الأخوة الإسلامية بين الأقاليم الإسلامية ، كما هى متحققة بين آحاد المسلمين ، وهى الأخوة التى تصلح ذات بينهم ولا تمكن من العداوات بينهم ، ولا تسمح لإقليم إسلامى أن يحارب إقليما آخر أيًّا كانت الحرب ، سواء أكانت فى ميدان القتال ، أم فى ميدان السياسة أم فى ميدان الاقتصاد ، وهى تحقيق مرمى قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

٢ — وهى لازمة لنا فى هذا العصر بحكم الزمان ، ولازمة فى كل الأزمان بحكم القرآن . إن العالم يجتمع اليوم بحكم المذهب الاستعمارى ، أو الغلب على الدول الضعيفة كما نرى بين فرنسا وانجلترا ، أو بحكم المنهاج الاقتصادى كما نرى فى أمريكا وانجلترا وغيرها ، أو المذهب الاجتماعى كما نرى فى الاتحاد السوفيتى والدول التى تنتمى إليه . فإذا كنا فى عصر التجمع على ذلك النحو ، فمن الحق علينا كناس نعيش فى هذه الحياة أن نتجمع لا تحت سلطان من الطمع المادى ، أو الغلب ، أو السيطرة فى الأسواق ،

---

(١) نستأذن فضيلة الأستاذ الكريم لنعيد ما سبق أن نشرناه فى العدد الثامن من السنة الثانية لـ « المسلمون » وهو أن الجامعة الإسلامية التى نعنيها هى الجامعة التى تقوم على أساس الإسلام البين الصريح ، ولحساب المسلمين دون مؤثر من غيرهم ؛ وهى حين تقوم على هذا الأساس وبهذه الروح ستكون خيرا للانسانية كافة ، أما ما سوى ذلك من مشروعات على مسرح السياسة العالمية فلا ندرى من أين بدأت ، ولا نعلم حقيقة وجهتها ... « التحرير »

ولكن نتجمع تحت ظل الله العليم القدير ، وإذا كانت تلك الأمم تجمعها المادة وتفرقها ، فالمسلمون يجمعهم الروح والخلق القويم ، إننا نجتمع فى تلك الظلال الروحانية لا نبغى علوا ظالما باغيا ، ولا نبغى غلبا ماديا وسلطانا على الضعفاء ، بل نجتمع لنحمى أنفسنا من شر المفسدين الذين يعيثون فى الأرض فساداً ، ونمكن لأنفسنا أن نعيش فى الأرض فى فضيلة دينية عادلة تدعونا إلى أن نعدل فى أنفسنا ومع غيرنا كما قال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » فإذا كان بعض الديانات يقول « أحبوا أعداءكم » وربما لا تجيب الفطرة الإنسانية ذلك النداء فالإسلام قال : « اعدلوا مع أعدائكم » .

وبهذا التجمع الفاضل الكريم يتحقق معنى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وتتحقق الصلات الأدبية مع غيرنا إذا لم يعتدوا علينا كما قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .



٣ — وإننا إذ ندعو إلى الجامعة الإسلامية ملحين لا ندعو — ضرورة — إلى الدولة الواحدة كما قلنا مرارا ، بل نقول يجب أن تكون جامعة موحدة ليس لأحد فى تكوينها سلطان إلا الجماعات الإسلامية نفسها ، لكيلا يكون بين المسلمين حرب ، وليكون المسلمون جميعا يداً على مَن سواهم ممن يعتدى عليهم ، وتكون لسيادة السلم لا لإيقاد نيران الحرب . ولو أن الأمم المسيحية كونت جامعة مسيحية ، داعية إلى السلم بين المسيحيين ، مقتصرة فى حروبها على من يعتدى اعتداء حقيقيا على المسيحيين لكان ذلك سبيلا من سبل سيادة السلم فى العالم إن صدقت العزائم وخلصت النيات ، وأطاعوا أوامر دينهم ، وأجابوا نداء المسيح عليه السلام فى الدعوة إلى المحبة العامة ، وكانوا متدينين حقا ، ولم يكونوا متعصبين من غير تدين ، فقد أثبت علم النفس أن التعصب والتدين ليسا متلازمين ، فإن التدين ليس هو سبب التعصب حتى يتحقق التلازم بينهما ، فقد يكون سبب التعصب عنصرية شديدة أثَّرت فى العقل الباطن وسيَّرت الإنسان ولبست لبوس الدين فظن أن الباعث هو الدين ، وقد تكون

الرغبات المادية وغيرها مسيطرة على النفس الإنسانية فتجعل الشخص يتعصب باسم الدين وليس متدينا فى شىء ، وقد يكون التعصب ناشئا عن انحراف نفسى أو ضعف فى الأعصاب ؛ وكثيرا ما يكون ذلك عند المتهوسين من المتدينين ، حتى لقد قال عالم من علماء أوربا المعنيين بالدراسات النفسية : « إن التعصب الدينى ينشأ من ضعف الأعصاب لا من قوة التـدين » وذلك حق لأن التدين القوى عميق لا تعبث به الأهواء ولا المنازع ، وهو يولد المحبة للناس ، لا الحقد عليهم ؛ وما من شخص يتمسح بالأديان ليبغض الناس من غير أن يعتدوا عليه إلا كان ضعيف الإيمان فى دينه ، أو ضعيف الأعصاب فى نفسه .

٤ — لسنا ندعو إلى الدولة الإسلامية الواحدة ، بل ندعو إلى الوحدة الإسلامية أو إلى الجامعة الإسلامية ؛ والفرق بين الأمرين عظيم كما نوهنا .

نعم قد كانت الوحدة الإسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد خليفته الصديق رضى الله عنه على شكل دولة إسلامية موحدة ؛ لأن الإسلام فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه وفى عهد الخليفة الأول ما كان يتجاوز أقطار العرب ، فـكان من الممكن تـكوين دولة واحدة فى ظله تتلاقى أعرافها ويتوحد نظامها .

ولما فتح الله سبحانه وتعالى الفتوح الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حكم البلاد العربية بحكم النبى صلى الله عليه وسلم وحكم الصديق ، وبالأسلوب الذى سنه النبى صلى الله عليه وسلم ، أما غير البلاد العربية فقد كان حكمها بوال يعين ، وله استقلال فى الجملة ، وإن كان يختلف قوة وضعفا ، وعين عمر العبقرى ترقبه وتلاحقه ، وكان دائما يُعَيّن القاضى من قبله ، وللوالى الإدارى الإدارة وبيت المال ، وأحيانا كان يجعل له الإدارة ، ويعين من قبله واليا على بيت المال ، وهو فى الحالين مشرف متتبع له عيون يرى بها ويعلم ، يعزل عند مظنة الظلم ، بل عند شبهة الظلم ، ولو أدى ذلك إلى أن يعزل كل يوم واليا ؛ ذلك بأنه يريد العدل فى كل صوره وأشكاله ، لا بل إنه يريد أن يشعر المحكومون بالعدل ، يبسط ظله على الجميع ، وأنه لا ظالم يعز على القصاص ، ولا كبير يعلو عن الأخذ بناصيته ، إذ الأمر كما قال عن نفسه : « الضعيف منكم قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى ضعيف حتى آخذ الحق منه » .

فكانت الجامعة الإسلامية فى عهد ذلك الإمام العادل دولة واحدة ، ولكن للأقاليم فيها ولايات لها استقلال جزئى فى الإدارة ، والتبعية لإمرة المدينة قوية مستمكنة ، ولأمير المؤمنين الإشراف التام لتحقيق العدل الحقيقى .

٥ — ولما جاء عهد أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ضعفت سيطرة المدينة ، فلم يحس الولاة بالسلطان النفسى الذى كان يراقبهم ؛ وبذلك خفت قوة المركزية فى الدولة واتسع مقدار الاستقلال عند والى الإقليم .

ولما جاء عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أراد أن يعيد سياسة عمر ، ولكن لم يتم له ذلك ؛ لأن الولاة ألفوا الاستقلال واستمرءوه ، ولذلك قامت فى عهده الفتن ، واضطربت الأمور ، وقد خرجت الخوارج وبغى البغاة ، وهو فى الجميع سيف الله المسلول ؛ وهو حجة قائمة على أن الحقّ لا يخلو من ناصر على وجه الأرض ، وصدق فى عهده ما قال : « لا يخلو وجه الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً » ، فكان هو القائم بحجة الله فى وسط ذلك الديجور من الفتن المدلهمة .

٦ — هذا كله والإسلام فى قوته ، وأحكامه قائمة ، فلما جاء عهد الأمويين ، وقد صارت الخلافة ملكا عضوضاً كما نوهنا فى مقالنا الأول ، كان لولاة الأقاليم سلطان شبه كامل ، ويكاد يكون مطلقاً إلا فى تنفيذ رغبات الخليفة ، ودعم الأسس التى قامت عليها دولته ، وكذلك كان الأمر فى صدر الدولة العباسية .

بيد أنه فى عهد المنصور أنشأ عبد الرحمن الداخل دولة مستقلة قائمة بذاتها فى الأندلس ، لا تخضع لحكم بغداد ، ولا تتصل بها بأى نوع من أنواع الاتصال ، وبذلك ابتدأت الإقليمية تتخذ صورة الدولة المستقلة المقطوعة غير الموصولة ، وأخذ يكيد أميرها لأمير بغداد ، ويبادله الآخر ذلك الكيد بمثله ، ولقد كان انقطاعها سببا فى أن سارعت إليها الذئاب ، فالتهمتها ، وفى قلب كل مسلم حسرة .

ولم يقف الأمر عند الأندلس ، وقد ابتدأت دولتها مناوئة ، بل إن الدولة العباسية نفسها صارت تُقَطع دولا وإن كانت موصولة ببغداد بخيط قوى أو خيط ضعيف ، ففى آخر عهد الرشيد تكونت دولة الأغالبة بالمغرب ، ثم بعده نشأت الدولة

الطولونية فى مصر ، ثم الدولة الإخشيدية ، ثم قامت دولة الفاطميين مستبدة بحكم مصر وأكثر المغرب ، ثم ضمت إليها الشام ، مناوئة حكم بغداد .

وهكذا نشأت الدول الإسلامية المختلفة يناوئ بعضها بعضاً ، وقامت الفتن المختلفة فى ربوع الديار الإسلامية فقامت فتنة الزنوج ، ثم فتنة القرامطة ، وصار بأس المسلمين بينهم شديداً ، وتقطعت وحدتهم ، ولم يصيروا جميعاً لا فى المظهر ولا فى المخبر ، حتى طمع فيهم الفرنجة فغزوهم ، وانقض عليهم التتار فلم يبقوا ولم يذروا ، ولولا أن الله سبحانه قد حفظ شرعه ما بقى لهم من بقية ، ولذا أخرجوا الغزاة من الفرنجة بعونه ولطفه .

ثم جاء من بعد ذلك آل عثمان فجمعوا الشمل فى المظهر ، وإن لم يجمعوا القلوب ، حتى صح فيهم وصف الله لنيرهم : « تحسبهُم جميعاً وقُلوبهم شتى » . وقد أرادها آل عثمان هرقلية ، ولم يجعلوها محمدية ؛ ولا يلتقى حكم محمد وهرقل فى دولة واحدة .



٧ — ولقد تحللت دولة آل عثمان فحق علينا أن نجتمع فى شكل جامعة موحدة ، لا فى شكل دولة واحدة ، إذ لا بد من وحدة تجمع سياستنا واقتصادنا وثقافتنا ، وبها نستطيع تنفيذ أحكام ديننا فى الاقتصاد والحكم . وإن تكوين تلك الجامعة لا يقتضى أن يكون شكل الحكم واحداً فى كل الأقاليم الإسلامية ، بل لكل إقليم شكل الحكم الذى يختاره ، والنظام الذى يريده .

٨ — فليست الجامعة الإسلامية صهراً للأقاليم الإسلامية فى بوتقة واحدة ، ليتكون منها اتحاد جامع ، إنما هى وحدة جامعة ، يجمعها القرآن وأحكامه ، ولكل إقليم شكل الحكم الذى يختاره ، وإن ذلك هو ما دعى إليه العبقرى الألمعى السيد جمال الدين الأفغانى منذ أكثر من سبعين سنة ، فقد قال — وقوله الحق — فى دعوته إلى الجامعة الإسلامية : « لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصاً واحداً ، فإن هذا ربما كان عسيراً ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع ، فإن حياته بحياته ، وبقاءه ببقائه . إن هذا بعد كونه أساساً لدينهم تقضى به الضرورة ، وتحكم به الحاجة فى هذه الأوقات . هذا أوان الاتفاق . . . »

ولقد قال مصطفى كمال التركى فى الوقت الذى كان يستمد فيه القوة من المسلمين : « إن سعادة جميع البلاد الإسلامية ورفاهية العالم الإسلامى هى فى نظرنا كسعادتنا ورفاهيتنا ، إننا مرتبطون بهذا الأمر ، فإننا نرى البلاد الإسلامية مرتبطة بنا وبسعادتنا على هذه الصورة ، وهذا أمر يتجلى كل يوم ، إنما إذا أردنا أن نجمع هذه الجماعة الإسلامية فى شكل امبراطورية مادية ، فهذا مخالف للعلم والمنطق والفن ، إن لكل جسم سياسى نهاية من القوى لا يتعداها أبداً ، كما أن هناك خطوطاً معقولة لحسن تشكل كل جسم إنسانى ، وكما أن الشكل الإنسانى مبنى على هذه القاعدة فإن الجماعات التى تتألف من الناس كذلك لا تشذ عنها » .

٩ — إن تكوين الجامعة الإسلامية من غير أن تكون دولة واحدة إسلامية هو الغاية المنشودة فى هذا الزمان ، وتكوينها يكون أولا : بقيام وحدة سياسية جامعة لسياسة الدول الإسلامية الخارجية مع غير المسلمين ، فى شكل جامعة لها مجلس جامع تمثل فيه الدول الإسلامية الحرة ، ويحضر مندوبون غير رسميين من الأقاليم الإسلامية .

وثانياً : بتكوين وحدة اقتصادية من كل الأقاليم الإسلامية بحيث يمكن أن يتكون اقتصاد إسلامى منفصل تمام الانفصال عن الاقتصاد الأوربى والأمريكى والروسى ، لكيلا يكون المسلمون فى ذيل أى اقتصاد عالمى ، فتنتابنا أزماته ، ولا نستطيع تنفيذ أحكام ديننا فى النظم الاقتصادية .

وثالثاً : يكون بتكوين وحدة لغوية أساسها لغة القرآن ، ويتبع ذلك وحدة ثقافية فنحيي به تراث السابقين من آثار الفكر ، ونجتمع تحت ظله ، ونبنى عليه ونرفع فوق قواعده » .

هذه خطوط مرسومة ، وهى إجمال وراءه تفصيل ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ، وهو الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

نظام ربّانى

للأستاذ سيد قطب

(٢)

والإسلام يربط بين العقيدة والنظم والتشريعات التى يُطلب إلى كل فرد فى المجتمع الإسلامى صيانتها ومراعاتها ورد الحاكم والمحكوم إليها . ونضرب على هذا بعض الأمثلة :

فالزكاة وهى ضريبة مالية ، تحقق جانباً من جوانب التكافل الاجتماعى فى الإسلام (وهو أوسع مدًى من الزكاة وأكبر مدلولاً من الحقوق المالية عامة كما سيأتى) هذه الزكاة فريضة دينية ، تمثل الركن الثالث من أركان الإسلام . تُطلَب لمستحقيها باسم الله ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة فى الله وفى أنه هو الذى استخلف أصحاب المال فى ماله ، فحق عليهم أن ينفقوا بأمره وبأذنه من هذا المال : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه[1] » . . « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم[2] » .

والربا — وهو داخل فى النظم الاقتصادية والمالية — يحرم ، ويرُبط تحريمه بالعقيدة وإشعاعاتها فى النظرية المالية فى الإسلام : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ، ولا تظلمون[3] » .

والحد فى السرقة عقوبة تتعلق من ناحية بالنظام الأخلاقى ومن ناحية بالجانب الاقتصادى . وهى مربوطة بالعقيدة فى الله تُنفَّذ عقوبة من الله ، لا من المسروقين

---

(١) سورة الحديد . آية : ٧ . (٢) سورة النور . آية : ٣٣ .

(٣) سورة البقرة . آية : ٢٧٨ — ٢٧٩ .

ولا من المجتمع كله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ، نكالاً من الله[١] » .

والحد فى الزنا عقوبة ذات علاقة بالأخلاق من ناحية وذات علاقة بنظام الأسرة وبالنظام الاقتصادى (فى تدليس الأنساب وتوريث الغرباء) وهى تُربط بالعقيدة فى الله ، ولا يذكر بجانبها لا حقُّ الأسرة ولا حقُّ المجتمع ، ولكن حقُّ الله : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر[٢] » .

وهكذا كلما مضينا مع القواعد التى يقوم عليها النظام الاجتماعى الإسلامى ، نجدها مرتبطة بالعقيدة ، قائمة عليها ، مستمدة منها قوتها وأحقيتها ، محققة سنة الربانية فى النظام الإسلامى .

* * *

معنى آخر من معانى الربانية يشتمل عليه النظام الإسلامى ، نشير إليه هنا إشارة مجملة ، لأنه يتعلق بنظام الحكم فى الإسلام (وسنعرض له قريباً إن شاء الله) .

إن الحاكمية فى هذا النظام الربانى الفريد لله وحده . فلا حاكمية فيه لأمير ولا رعية . فالله وحده هو المشرع ابتداء ، وعمل البشر هو تطبيق التشريع الإلهى وتنفيذه — وهم حتى فيما يجمعون عليه مما لم يرد فيه نص ، يظلون مطبقين للمبادئ الإسلامية ، لا مبتدعين ولا مضيفين مبدأ جديداً لا أصل له فى الشريعة ، بله أن يكون مخالفاً لأصل من أصولها — وهم فى الأحكام التطبيقية والتنفيذية محكومون بالمبادئ الأساسية التى جاءت بها الشريعة ، غير مخيرين فى العدول عنها ، أو اختيار بعضها دون بعضها ، أو فى تعديلها وتحويرها : « وإن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك[٣] » .. « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون[٤] » .. « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ، أن يكون لهم الخيرة من أمرهم[٥] » .

(١) سورة المائدة . آية : ٣٨ .
(٢) سورة النور . آية : ٢ .
(٣) سورة المائدة . آية : ٤٩ .
(٤) سورة المائدة . آية : ٤٤ .
(٥) سورة الأحزاب . آية : ٣٦ .

والإشارة إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى صدد الحكم والتشريع، لا تنفى أن الحاكمية لله وحده دون البشر؛ فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق فى هذا عن الهوى: «إن هو إلاَّ وحى يوحى[1]» أما ما كان يستشير فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، ويمضيه حسب المشورة لاحسب رأيه. فقد كان فى الأمور التى لا تتعلق بالتشريع فى أية صورة من صوره، ومنه كل ما ينظم أحوال الجماعة. إنما كان يجيء فى الأمور العملية المتعلقة بالخبرة كتأبير النخل، واختيار مواضع القتال وخططه مما يتعلق بعلم تجريبى، لا بتشريع ولا بتنظيم اجتماعى يتعلق بالأصول. وفى هذه الدائرة قوله - صلى الله عليه - : «أنتم أعلم بأمور دنياكم» لا فى المبادئ والأصول المتعلقة بالإنسان فى عقيدته أو فى نظامه الاجتماعى. فليكن هذا المعنى واضحاً تمام الوضوح لأن بعض الماهرين يلبسه على الناس ويفتل لهم فيه بالشبهات!

نعم يملك فقهاء الشريعة الإسلامية - وهم ليسوا طائفة معينة كرجال الأكليروس فى الكنيسة المسيحية مثلا - إنما هم كل من تفقه فى الدين أيًّا كانت وظيفته وعمله - يملك الفقهاء أن يختلفوا فى فهم النصوص وفى استنباط الأحكام منها، كما يختلف شراح القانون الوضعى - ولكن اختلاف فقهاء الإسلام يظل داخل حدود مرسومة. فهو لا يمكن أن يخرج على المبادئ الأساسية فى الشريعة: «فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول[2]». وبذلك تظل الحاكمية لله وحده، ويظل المجتمع الإسلامى محكوما وفق شريعته. فإذا انحرف عن هذه القاعدة لم يعد مجتمعاً إسلامياً، يحمل هذا العنوان الخاص.

وهكذا نجد سمة الربانية تتحقق من توحيد الحاكمية لله. وهذه بدورها راجعة إلى عقيدة التوحيد الإسلامية.

* * *

بهذه الربانية انفرد النظام الإسلامى من بين سائر النظم التى عرفتها البشرية. بما فيها النظام «التيوقراطى» الذى كان الحاكم يتلقى فيه سلطته إما من رجال الدين

---

(١) سورة النجم. آية: ٤. (٢) سورة النساء. آية: ١٥٩.

وإما من الحق الإلهى ، بوصفه ظل الله فى الأرض ! فمعنى الربانية فى الإسلام متعلق بالنظام ذاته ، لا بالحاكم وسلطة الحكم . فالحاكم فى النظام الإسلامى لا يتلقى سلطته من رجال الدين ، ولا يدَّعيه بحق إلهى له . إنما يستمد حقه فى تولى الحكم من البيعة الحرة . كما يستمد طاعته من تنفيذ شريعة الله دون سواها : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى — ما أقام فيكم كتاب الله تعالى »[1] .

وفرق كبير بين هذه القاعدة وقاعدة النظام التيوقراطى كما عرفته أوربا .

إن الربانية فى النظام الإسلامى ربانية شريعة ونظام ، لا ربانية أمراء وحكام ! وحين يشرع الله تعالى للبشر يشرع بعلم كامل ، وبعدل شامل ، وهو أعلم بمن خلق . وهو اللطيف الخبير . . .

استدراك

١ — وقع خطأ مطبعى فى الآية الكريمة الآتية التى جاءت بمقال الأستاذ سيد قطب « نظام ربانى » فى العدد الماضى صفحة ٢٠ سطر ١٤ فنعيدها هنا مصححة وهى : « وقال موسى : يا فرعون إنى رسول من رب العالمين ، حقيق على ألاّ أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم ، فأرسل معى بنى إسرائيل » .

٢ — وجاء أيضاً فى صفحة ١٧ فى نفس المقال سطر ١٠ : إن مبادئ الإسلام ثابتة لا تتغير ، أما تحقيق هذه المبادئ فمتجددة . وصحتها : . . . أما وسائل تحقيق هذه المبادئ فمتجددة .

٣ — كما جاء فى صفحة ١٨ سطر ٩ : . . . فى مسألة الخلاف وغيرها . وصحتها فى مسألة الخلافة وغيرها .

٤ — وجاء فى صفحة ٢١ سطر ٢٣ : « من قاتل لتكون كلمة الله العليا . . . » وصحتها : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا . . . »

---

(١) البخارى .

الشرق الأوسط فى دور انتقال

للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

(٢)

« ما أكثر ما تنسى الشعوب ، وما أشد ما تغفل الغفلة عن التاريخ ..
فهلا قرأت من خبر أمسك ما يعينك على فهم يومك الملىء ؟!! »
« التحرير »

لم يكد « الاتحاديون » يفرغون من تهنئة أنفسهم بنجاح الحركة حتى هبت عليهم عاصفة لم يستطيعوا مقاومتها ؛ فإن دول الغرب قد خشيت أن يؤدى قيام الحركة إلى تجديد قوى الدولة العثمانية ، وبرئها مما أصيبت به من أمراض ، فبادروا إلى انتهاز الفرصة وتنفيذ مآربهم ، قبل أن يتم هذا التجديد .

بادرت « بلغاريا » إلى إعلان استقلالها ، فانقطعت منذ ذلك الوقت كل صلة بينها وبين الدولة ، وضمت النمسا إليها مقاطعتى البوسنة والهرسك (فى يوجوسلافيا الآن) ، وأعلنت « كريت » انضمامها إلى اليونان . ولم يستطع رجال العهد الجديد إلا أن يعترفوا بهذه التغييرات مضطرين ، بعد قليل ؛ فشجع هذا إيطاليا ، إذ أن ما اتفق عليه فى مؤتمر « برلين » قد صار منقوضا ، فما كان منها إلا أن أرسلت أسطولها ، وبدأت باحتلال « ليبيا » وضرب طرابلس فى عام ١٩١١ . وكان هذا عدوانا سافراً غاشماً بدون أى مبرر ، كعمل القرصنة تماماً . فأثار هذا غضب الأحرار فى كل مكان ، ووقف العرب وقفة مجيدة إلى جانب الأتراك لمنازلة هـذا المعتدى الغاصب والدفاع عن كيان ليبيا .

ثم اتحدت دول البلقان وكونت « حلفا مقدسا » فى عام ١٩١٢ ، وهاجمت كلها تركيا ، فكانت حربا عنيفة ، ولم يكن « الاتحاديون » قد أتموا استعداداتهم ،

فاستولت الجيوش الهاجمة على مدن ومواقع عديدة وسقطت « أدرنة » ، ووقفوا على بُعْدٍ قليل من العاصمة . واستبسل الأتراك فى الدفاع ، ثم لما حانت لهم فرصة بوقوع الشقاق بين المتحالفين بدأوا الهجوم ، فاستردوا بعض المواقع ، وحموا شرفهم . وانتهت الحرب بمعاهدة بوخارست عام ١٩١٣ التى بها تم الاعتراف باستقلال كل دول البلقان وانفصالها نهائياً عن تركيا .

ولكن إذا كان هذا يعزى إلى سوء الحظ ، أو أنه كان أمراً متوقعا نتيجة لما ابتليت به البلاد من فساد لعهد طويل ، ولم يُعطَ رجال العهد الجديد الوقت الكافى لمعالجته ، فإن الكوارث الكبرى التى كانت ستصيب الدولة بعد قليل ، والفشل الذريع الذى سيمنى به الحكام الجدد ، كان ذلك كله نتيجة أخطاء متعمدة ، وثمرة لسياسة ضالة ، وعاقبة اتباع مبادئ قد استوردت من الخارج ، وأريد تطبيقها بالقوة ، مع عدم ملاءمتها لطبيعة الأمة وعدم اتفاقها مع تطورها التاريخى : ذلك أن أعضاء جمعية الاتحاد كانوا فى الغالب من شباب تلقى تعليمه فى بيئات الغرب ، وقضوا شطراً من حياتهم فى عواصم أوروبا ، فنشأوا مفتونين بنظم الغرب وثقافته ، وحشوا أدمغتهم بنظريات ومبادئ لا تصلح للتطبيق فى غير موطنها . كما أن من المحزن أن معرفتهم بالإسلام كانت ضئيلة ، وفهمهم لحقيقة مبادئه أو لطبيعة تاريخ أمتهم كان مضللا ، أو على غير أساس . والذى يقطع به كثير من المؤرخين أن « جمعية الاتحاد » كانت خاضعة لتأثير الجمعيات « الماسونية » . وكان نفوذ اليهود غالباً وظاهراً وسط محيط تلك الجمعية ؛ فاليهود أمدوا الحركة بالمال وعاونوها بمختلف الوسائل ؛ فكانت فلسفة تلك الحركة إذن خليطا من مبادئ غربية نظرية ، وعواطف عنصرية ضيقة ، ونزعات يهودية سياسية مخربة ؛ ولهذا فإن الحركة — فى الأمد الطويل — لم يقدر لها النجاح ، بل أصابت الأمة بصدمة شديدة من خيبة الآمال ، وكانت فى النهاية كارثة أطاحت ليس فقط بالنظام الجديد ورجاله ، بل بالدولة كلها ، وكادت تطيح بتركيا نفسها كأمة أو دولة مستقلة ، لولا جهود قام بها فى آخر لحظة رجال جدد .



كانت الآفتان اللتان أودتا بالحركة هما اتجاهها غير الإسلامى ، ونزعتها العصبية القومية الضيقة . فقد عمد رجال العهد الجديد إلى إهمال شأن الدين ، وآثروا أن يتبعوا سياسة مدنية أو زمنية أو حتى (لا دينية) . وهذه إحدى الثمرات المباشرة لاتصالهم

باليهود . كما أنهم بذلوا كل الجهد لإحياء العصبية القومية ، وبرزت فكرة «التركية» والاعتزاز بالأصل التركى ، وعملوا على صبغ الدولة كلها بالصبغة التركية ، وأرادوا أن يحاولوا المستحيل ، وهو محو العصبيات الأخرى وإزالة الأجناس المختلفة بمجرد إصدار التشريعات ، وبسلطان الإدارة وبالإكراه . كان إحياء القومية التركية وظهور هذه العصبية الذميمة هو العامل على ظهور قوميات أخرى كنتيجة مضادة أو كرد فعل ، فما ظهر القومية العربية ، واضطر العرب إلى أن يقاوموا ، وكلما ازداد اضطهادهم وكلما ثقلت وطأة السياسية الاستبدادية عليهم ازدادت مقاومتهم وصلب عودهم وأمعنت شخصيتهم فى البروز ؛ فنشطوا للمطالبة بحقوقهم ، وتألفت الأحزاب ، ووضعت البرامج ، وأخذت الأهداف تتحدد .



كان من الأحزاب التى ألفت حزب يدعو إلى الاستقلال الذاتى للولايات سمى « حزب اللامركزية العثمانى » وكان مقره مصر ، وجمعية « العهد » تكونت من الضباط العرب فى الجيش ، وجماعة « فتيان قحطان » ، وحزب « الإصلاح » وغير ذلك . وقد أساء الحاكمون فهم الغاية من وجود تلك الجماعات ، فظنوا بها شرا ، وعمدوا إلى إضطهادها والتنكيل بأفرادها ، ولم يفهموا معنى المعارضة ، فكانت المعارضة فى نظرهم ثورة على الوضع القائم ، وعصيانا ، ومخالفة لما يوجبه القانون . وهكذا انقلبت تلك الحركة التى قامت من أجل حماية الحقوق الدستورية وإعلاء كلمة الأمة — انقلبت إلى نظام استبدادى طاغ ، وإلى حركة ضغط وإذلال ، ولم يصبح لأصحابها غاية إلا الاستئثار بالسلطة لذاتها ، والتمتع بالنفوذ ، بل العمل لجلب منافع شخصية أيضا .

ثم ارتكب « الاتحاديون » غلطتهم الكبرى فانضموا إلى جانب « ألمانيا » فى الحرب العالمية الأولى . والواقع أن من أكبر الخطأ أن تقذف دولة ناهضة أو ناشئة بنفسها فى أتون الحرب ؛ كما أن من الخطأ المطلق أن تشترك أية دولة إسلامية فى حرب للدول الأوربية ، فليست لها أى مصالح مباشرة فيها . وإن هذا الاشتراك فى الحقيقة لن يكون إلا استغلالا ، بل تسخيرا . وعيّن الاتحاديون أحد كبارهم وهو « جمال باشا » قائداً لجيوشهم فى الشام ، فجند الرجال وجمع الأموال ، ولكنه ذلك مع

اتبع سياسة استبدادية فى حكمه للشام ، وقاوم كل حركة ، وشك فى كل هيئة . ولما وقع فى يده بعض الأوراق التى أظهرت أنه حدث اتصال بين بعض رجال سوريا وجهات أجنبية تحوّل إلى وحش ضار ، وملأ السجون بالأحرار ، ونصب المشانق ، فأعدم ، وعذب ، ونفى . وذهب ضحية هذه السياسة الطاغية الخرقاء كثير من خيرة رجالات سوريا ، وشقى كثير من الأبرياء ؛ ولذا فإنه لقب بحق « جمال باشا الجزار » وهنا استقر اليقين وثبت الاعتقاد بأن لا حياة للعرب مع الترك على هذا الوضع ، وأن الأمة العربية يجب أن تعمل لاستقلالها ، ويجب أن تنتقل الأمانة إذ ذاك فتحمل هى عبء الدفاع عن الإسلام وأهله ، وتصير مركز ثقافته ومصدر تأثيره الروحى ، كما أراد الله لها ذلك من قبل ، حين حمت الإسلام فى نشأته ، وناضلت تحت لوائه ، وأخضعت له أعداءه .

أثارت هذه السياسة الجائرة ، وهذا التعصب الذميم ، سخط العرب والأحرار فى كل مكان . وكان « الحلفاء » وفى مقدمتهم انجلترا يسعون لضم أنصار لهم ، فوجدوا فى هذا الشقاق فرصتهم السانحة ، واتصلوا بالشريف « حسين » فى مكة ، وكان هو على خلاف مع الحكومة التركية ومهدداً بالعزل ، ومنّاه الإنجليز الأمانى أيضاً ، ووعدوه بالملك ، وأغدقوا عليه المال . ولما وقعت الاضطهادات وحدثت مجازر الشام كان الرأى العام العربى مهيأ لإحداث انقلاب ؛ فتزعم « الحسين » الثورة وأعلن انضمامه للحلفاء وخروجه على الدولة (١٩١٦) وانقض — بتدبير الحلفاء — على الحامية التركية فى مكة والمدينة فقتل وأسر ، ثم نادى بنفسه ملكا وأخذ يكون جيشاً للزحف إلى الشمال لمساعدة الحلفاء . ولكن الإنجليز فى الوقت الذى اتصلوا فيه بالشريف ومنوه الأمانى كانوا قد اتصلوا أيضاً بجهات أخرى وعقدوا اتفاقات متضاربة : عقدوا معاهدة سرية بينهم وبين روسيا وفرنسا تهدف إلى اقتسام أقطار الشرق الأوسط عقب هزيمة تركيا ، وعقدوا اتفاق « سيكس — بيكو » بينهم وبين فرنسا لاقتسام نفس الأقطار بين الحليفتين ، واتفقوا مع اليهود على إقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ، أو بعبارة أخرى التمهيد لهم لامتلاكها ، وأعلن هذا فى التصريح الشهير الذى أذاعه « بلفور » وزير خارجية انجلترا فى نوفمبر سنة ١٩١٧ .

وانتهت الحرب العالمية بهزيمة ألمانيا وتركيا هزيمة ساحقة (١٩١٨) وكانت القوات المتحالفة جاعلة قاعدتها مصر ومستمدة منها مواردها والأيدى العاملة ، وبمعونة الجيش العربى الذى اشتهر من شجعانه « عودة أبو طاية » ، كانت قد استطاعت أن تغزو فلسطين فسوريا واستولت على القدس ودمشق . وتنفيذاً لاتفاقية « سيكس — بيكو » احتلت فرنسا السواحل الشامية . وحين أتى وقت توزيع الأسلاب أخذت انجلترا تتنكر للعرب وتنسى أو تمارى فى وعودها ، بينما اتفقت كلمتها مع فرنسا على اقتسام الشام فيما بينهما ، وعلى أن تفوز بالنصيب الأكبر من تركة الدولة العثمانية . ولم يكن هناك شك فى وفائها لليهود ، بل منذ اللحظة الأولى أخذت تعمل لتحقيق آمالهم وتثبيت أقدامهم فى فلسطين ، وعينت أول مندوب سام لها هناك « هربرت صموئيل » وهو إسرائيلى إنجليزى .

وهكذا كانت نتيجة الحرب العالمية الأولى أن انجلترا ومعها اليهود قد احتلت فلسطين ، واحتلت فرنسا لبنان ، ثم سوريا كلها إذ أن الأمير فيصل بن الحسين قد قام بمحاولة لتأسيس حكومة عربية بمعونة السوريين فى دمشق وأعلن نفسه ملكاً ١٩١٩ ، فلم تعش حكومته أكثر من أشهر ، وزحفت جيوش فرنسا فهدمت حكومته ونفته من سوريا ، ولم تنفعه انجلترا حليفة والده . وقسمت فرنسا الشام إلى أجزاء ، وأثارت العصبيات والأحقاد الجنسية والطائفية لتستطيع أن تسود الجميع عن طريق سياسة التفرقة . واحتل الإنجليز أيضاً العراق . ولم تنفع انجلترا حليفها أيضاً الملك حسين إذ أخذت جيوش المملكة السعودية التى قامت فى نجد تهاجم بلاده فى الحجاز نفسها ١٩٢١ ، وانتهى الأمر بإخراج الحسين نفسه من الحجاز وذهاب ملكه وانتهاء عهد أسرته ، فنفى إلى قبرص وظل بها إلى أن مات ، وقامت الدولة السعودية فى الأراضى المقدسة .

ثم وجدت انجلترا نفسها مضطرة تحت ضغط الحوادث لإرضاء هذه الأسرة ، فاقتطعت من الشام جزءاً أسمته « شرق الأردن » ونصبت الأمير عبد الله بن الحسين أميراً عليه ، ثم ملكا ؛ وليس هذا الجزء فى الحقيقة إلا قاعدة حربية لها لتحمى فلسطين من الصحراء . كذلك عاونت على تنصيب الأمير فيصل ملكا على العراق حيث أسس هناك أسرة أخرى ، ونفوذ انجلترا هو السائد .

أما تركيا نفسها فقد سقطت فيها حكومة الاتحاديين بعد هزيمتهم ، واحتل الحلفاء القسطنطينية ، واحتل اليونان الأناضول ، وأشرفت على الهلاك ، لولا أن قام مصطفى كمال ورجاله بحركته وكون جيشاً فطرد اليونان وأنقذ بلاده من العدم . وبعد أن نال شروطاً طيبة فى معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ قرر إلغاء النظام القديم كله، ومحا الخلافة التى كانت اسماً على غير مسمى . ومنذ ذلك الوقت بدأت تركيا حياة جديدة . وأما مصر التى كانت مفصولة عن العالم العربى وعن هذه التطورات باحتلال الإنجليز لها ، والتى اتخذوها مع ذلك قاعدة لحروبهم ومصدراً لتموينهم وسخروا عمالها وأساءوا معاملتها ، فقد قامت عقب انتهاء الحرب بثورة مجيدة عام ١٩١٩ اهتزت لها أركان الامبراطورية، واضطرت انجلترا إلى أن تعترف بمبدأ استقلالها ١٩٢٢، وبدأت فيها الحياة البرلمانية ، وأخذت منذ هذه الساعة تملأ الفراغ الذى تركته تركيا فى حياة الأمم العربية والشرق الإسلامى . وما زالت تكافح من أجل استكمال استقلالها ، وما زالت تُعد نفسها للقيام بدور كبير فى حياة العروبة والإسلام .



* * *

وجد الشرق الأوسط الإسلامى إذن نفسه عقب الحرب العالمية الأولى فى وضع جديد ، وقد انتقل من دور إلى دور ، وهدمت نظم وشيدت نظم ، وذهبت دول وجاءت أخرى . ولئن كان بعد هذا الانتقال وجد أنه قد صار إلى حالة سيئة وأصبح وجهاً لوجه أمام الاستعمار — فإن هذا هو الثمن الذى كان لا بد أن يدفعه ، نتيجة لما جنى عليه ضعف وإهمال وسوء إدارة الدولة العثمانية التى كان يتبعها أو كان مرتبطاً بها . وإنه لثمن باهظ حقاً ! إذ أبه كلفه حريته وكرامته . ولكنها ضريبة لابد من دفعها ، وهى البوتقة التى يُصهر فيها معدنه من جديد ، وتُمتحن قوة صلابته ومتانة جوهره . لقد استقل بأمور نفسه على كل حال ، وصار هو المشرف على شئون نفسه ، وأخذ يفكر بجد فى الإصلاح وفى وضع النظم التقدمية .

إن انجلترا وفرنسا والصهيونية كانت هى الثالوث الخبيث الكريه الذى كان يهدد الشرق ومستقبله . والآن — بعد أن ظفرت سوريا ولبنان باستقلالها وطُردت فرنسا فصار عدوانها قاصراً على المغرب العربى — بقيت انجلترا والصهيونية — ومن

ورائهما أمريكا تؤيدهما — هما العدو : انجلترا بما لها من قواعد فى مصر « السويس » وفى شرق الأردن ، والعراق « الحبانية » — وأخيراً فى ليبيا أيضاً — والصهيونية بقاعدتها اليهودية الأمريكية الخطيرة فى (إسرائيل) . وإن الواجب الأعظم اليوم هو مكافحة هذا العدو وإزالته عن قواعده . إن واجب هذه الأقطار كلها أن تتعاون عسكريا وسياسياً ، مادياً وروحياً لمقاومة هذا الشر والقضاء على هذا الخطر . وعلى كل فقد بدأت المعركة ، وصار مستقبل الشرق الأوسط الإسلامى — بعد انقضاء دور الانتقال الذى وصفناه — بين يديه : صار مستقبله وحريته رهن كفاحه وجهاده .



خاطرة :

المحراب الخسيس

أتدرى من أعدى عدوك وأقدرهم على مخادعتك ؟ !

إنه نفسك ، التى بين جنبيك !

منها تنزغ نوازغك ، ومن أهوائها وشهواتها يستل الشيطان كل أسلحته ليقهرك ... والمعركة بينكما قديمة دائمة ، جيش هو لها جيشه وأعلامه : « قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » ولكنك فى معركتك معه سلاح الفطرة — إن عشت بها — « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » ؛ ومعك دائماً ذخيرة لا تملك الشياطين بابها : يقول قتادة « أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله » !!

***

أو تدرى أيها الإنسان ما هو أشد ما ينال الشيطان منك ؟

إنه شىء من جنس جريمته التى ارتكبها هو أول مرة .. يوم تمرد على الله وقال « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » فكان جواب الله عليه « قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين » .

« أنا » هذه التى قالها فطرد ، هى التى ينشدها فيك ، ويوقظها بكل حيله فى نفسك ، وفنه فى ذلك عات رهيب ...

إنها الجريمة التى يغضب الله لها أشد الغضب ؛ يقول صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى ... »

إنها النزعة الشريرة التى يبدأ بها منطلق كل جريمة ، وتغيب بها عن النفس كلمة الله ليقول فيها الهوى كلمته غير منازع ... « أرأيت من اتخذ إلهه هواه : أفأنت تكون عليه وكيلا » ؟ ...

***

وأخطر ما تكون فتنة هذه الـ « أنا » على الذين لهم بالدين علم وفى الجهاد له سابقة ... إنه لا يستطيع أن يدعو هؤلاء إلى أن يكفروا بشىء عرفوا وجه الحق فيه ، ولا أن يتخلوا عن عمل آمنوا به وأصروا عليه ، ولكنه يستطيع أن يأتيهم من الناحية الأخرى من حيث لا يدرون ، فيقول لأحدهم : « إنك عالم ، وذو فضل ، وذو سابقة ، هاهم أولاء الناس يستمعون إليك ، ويقرأون لك ، ويعجبون بك .. أنت ... أنت ... أنت » .. ولا يزال يلح عليه من كل جانب ولذة « أنت » هذه لذة فاتنة ، وضراوتها قاسية ومزالقها شتى ؛ حتى إذا غلبه على أمره وأداره إلى نفسه يتعبد فى محرابها الخسيس ... لم يضره بعد ذلك علمه ولا سابقته ما دام يعيش فى مثل جريمته التى ارتكبها هو أول مرة ، بل إن علمه وسابقته حينئذ من أنفع جنده ..

روى الإمام أحمد فى كتاب الزهد « أن رجلا من بنى إسرائيل تعبد ستين سنة فى طلب حاجة ، فلم يظفر بها ، فقال فى نفسه : والله لو كان فيك خير لظفرت بحاجتك ، فأتاه آت فى منامه قال له : أرأيت ازدراءك نفسك تلك الساعة ، فإنه خير من عبادتك تلك السنين » .

في ظلال السنة

صور من التربية النفسية في الإسلام

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

روى الترمذى عن أبى العباس عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال :
كُنت خلفَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يوما فقال لى : « يا غلام إنى أعلِّمُك كلمات :
احفظِ اللهَ يحفظْك ، احفظِ الله تجدْه تُجاهَك ، تعرَّفْ إلى الله فى الرخاء ،
يعرِفْك فى الشدة ، واعلم أنَّ ما أَخطأك لم يكن لِيُصيبَك ، ومَا أصابك لم يكن
لِيُخْطِئَك ، واعلم أن النصْرَ مع الصبر ، وأن الفرَجَ مع الكرْبِ ، وأن معَ
العُسر يُسْرًا » .

***

لقد اشتمل هذا الحديث على مواد من منهج التربية الإسلامية للنفس الإنسانية ،
وضعها المربىّ الأول ، والمرشد الأعظم ، صلوات الله عليه .

أولى تلك المواد هى قوله صلى الله عليه وسلم :
« احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك » .

ثانيها : « تعرَّف إلى الله فى الرخاء ، يعرفك فى الشدة » .

ثالثها : « واعلم أن ماأخطأك لم يكن ليصيبك ، وماأصابك لم يكن ليخطئك » .

رابعها : « واعلم أن النصر مع الصبر » .

خامسها : « وأن الفرج مع الكرْب » .

سادسها: « وأن مع العسر يسرا » .

المادة الأولى

« احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تُجاهك » .

المراد بحفظ الله ، حفظ حدوده وحقوقه ، وأوامره ونواهيه . وحفظ ذلك

يكون بالوقوف عند أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب ، فلا يُتجاوز ما أمر به وأُذِن فيه ، إلى ما نهى عنه .

فمن فعل ذلك فهو من المحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله فى كتابه وقال عز وجل : « هذا ما توعدون لكل أوّاب حفيظ . من خَشِىَ الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب » .

ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة ، وقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال تعالى : « حافظوا على الصلواتِ والصلاة الوسطى » ومدح المحافظين عليها بقوله : « والذين هم على صلاتهم يحافظون » .

ومما يؤمر بحفظه الأيمان ، قال الله عز وجل : « واحفظوا أيمانكم » فإن الأيمان يقع الناس فيها كثيراً ، ويهمل كثير منهم ما يجب بها فلا يحفظه ولا يلتزمه .

ومن ذلك حفظ الرأس والبطن كما فى حديث ابن مسعود المرفوع : « الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، وتحفظ البطن وما حوى » .

وحفظ الرأس وماوعى يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات ، وحفظ البطن وماحوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ماحرّم الله .

وقد جمع الله ذلك كله فى قوله : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

ويتضمن أيضاً حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب .

ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهى الله عز وجل اللسان والفرج .

ومَن حَفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله ؛ فإن الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى : « وأوفوا بعهدى أوفِ بعهدكم » .

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان :

النوع الأول : حفظه له فى مصالح دنياه ، كحفظه فى بدنه وولده وأهله . ومَن حفظ الله فى صباه وقوته ، حفظه الله فى حال كِبَره ، وضعف قوته ، ومتّعه بسمعه وبصره ، وحولِه وقوته وعقله .

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته فى ذريته كما قيل فى قوله تعالى : « وكان أبوهما صالحا » .

النوع الثانى : من الحفظ : وهو أشرف النوعين ، حفظ الله للعبد فى دينه وإيمانه ، فيحفظه فى حياته من الشبهات المضِلة ، ومن الشهوات المحرَّمة ، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان .

ومَن حفظ حدودَ الله وراعى حقوقه ، وجد الله معه فى كل أحواله حيث توجَّه ، يحوطه وينصره ، ويحفظه ويوفقه ويسدّده : « إن الله مع الذين اتقوْا والذين هم محسنون » .

قال قتادة : مَن يتق الله يكن معه ، ومن يكُن الله معه فمعه الفئة التى لا تُغلب ، والحارس الذى لاينام ، والهادى الذى لايضل .

المادة الثانية

« تعرّفْ إلى الله فى الرخاء ، يعرفك فى الشدة » .

فمعرفة العبد لربه نوعان :

أحدهما : المعرفة العامة ، وهى معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان . وهى عامة للمؤمنين .



والثانى : معرفة خاصة ، تقتضى ميل القلب إلى الله بالكلية ، والانقطاع إليه والأنس به ، والطمأنينة بذكره ، والحياء منه ، والهيبة له . وهذه المعرفة الخاصة هى التى يدور حولها العارفون .

ومعرفة الله أيضاً لعبده نوعان :

أحدهما : معرفة عامة ، وهى علمه تعالى بعباده ، واطلاعه على ماأسرّوه وأعلنوه .

والثانى : معرفة خاصة ، وهى تقتضى محبته لعبده ، وتقريبه إليه وإجابة دعائه وإنجاءه من الشدائد ؛ وهى المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه : « ولايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذى يسمع به ، وبصره الذى يُبصر به ، ويدَه التى يبطش بها ، ورجلَه التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينّه ، ولئن استعاذنى لأُعيذنّه » .

وإنما طلبَتْ هذه المادة إلى المسلم أن يتعرف إلى الله فى الرخاء ، ويذكره فى السراء ليعرِفَه ربُّه فى الشدة ، ويراعيه فى المحنة .

لأن معرفة الله فى الشدة أمر مغروز فى طبيعة الإنسان ، ويفعله حتى الكفار والملحدون . وقد ذُكر هذا فى القرآن الكريم مراراً ، فقال تعالى مخاطباً المشركين :

« قل من ينجّيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخُفية ، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » .
وقال تعالى أيضاً : « وإذا مسّكم الضر فى البحر ضلّ من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً » .

وقال تعالى فى وصف المشركين : « فإذا ركبوا فى الفلك دعَوُا الله مخلصين له الدين ، فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يشركون » .

وقال تعالى فى وصف الإنسان الجاحد المسرف على نفسه : « وإذا مسّ الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضُره مرّ كأنْ لم يدعُنا إلى ضُرٍّ مسّه ، كذلك زُيّنَ للمسرفين ما كانوا يعملون » .

وإن فرعون وقد كان طاغياً ناسياً لذكر الله « فلما أدركه الغرق قال آمنت » فقال الله تعالى : « الآن وقد عصيتَ قبل وكنت من المفسدين » .

قال الضحاك بن قيس : اذكروا الله فى الرخاء ، يذكركم فى الشدة ، إن يونس عليه السلام كان يذكر الله تعالى ، فلما وقع فى بطن الحوت قال الله تعالى : « فلولا أنه كان من المسبّحين . للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون » .

أما فى الرخاء وأزمان السراء فلا يتعرف إلى الله إلا المؤمن الذى تيقّظ قلبه ، وصفا وجدانه ، فيذكر ربه فى كل لحظة ، ويتعرف إليه فى كل نسْمة .

المادة الثالثة

« واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبكِ ، وماأصابك لم يكن ليخطئك » .

هذه المادة يقصد منها الرسول صلوات الله عليه ، أن تكونَ بلْسما فى الملمات ، ومسكّنا فى الأزمات ، ورداً إلى السياسة العليا عند المصائب والبليات .

فإن العبد إذا بذل كل مافى طاقته ، واجتهد ماوسعه الجهد فى الوصول إلى غايته ، واستخدم كل الوسائل التى فى إمكانه ، ثم أخفق ولم يصل ، وانهزم ولم ينتصر ، وفشِل ولم ينجح ، فعليه أن يأخذ بسرعة من هذه المادة الثالثة ، ليفقه معنى قوله تعالى :

« قل كلٌّ من عند الله » وقوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها » وقوله تعالى : « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » فإنه سبحانه بيده الأمر الأعلى فى الخير والشر، والنعم والنقم ، وهو وحده الذى يُعطِى ويمنع ، ويسلب ويمنح : « قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعِز من تشاء ، وتُذِل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير »

عند ذلك تعود إليه طمأنينته ، ويرجع إليه هدوءه ، ويستأنف حينئذ نشاطه وسعيه للجولة الثانية ، وهكذا سنّةُ الله فى الحياة : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

فينبغى إذن لمن أصابته ضراء ، أو مسته بأساء ، أن يبحث أولاً عن سبب ذلك فى نفسه ويحاسبها ويعاتبها ، قال تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقال تعالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » .

فإن غُمَّ عليه ولم يعرف لذلك سببا ، فلا يجعل للحزن عليه سبيلا إلى قلبه ، بل يرجع إلى السياسة الإلهية العليا ، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء » .

وفى صحيحه أيضاً عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنِّى فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدَّرَ الله ، وماشاء الله فعل ، فإنّ لوًّا تفتح عمل الشيطان » .

المادة الرابعة

« واعلم أن النَّصْر مع الصبر » .

الصبر احتمال الآلام من غير تذمر ولا معارضة ، وهذه المادة موافقة لقول الله عز وجل : « قال الذين يظنونَ أنهم ملاقوا ربهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

بإذن الله ، والله مع الصابرين » وقوله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

ليس معنى هـذا أن الصبر بمنزلة التميمة متى عَلَقها الشخص ظفَّره الله تعالى ، بل معناه أن فى الصبر مضاعفةً للقوة ، وحملا على المصابرة والمداومة ، ومن كان مستمراً مثابراً ، وجَلْدا مصابرا ، فهو جدير بالفوز والغلبة .

قال عمر رضى الله عنه لأشياخ من بنى عبس : بمَ قاتلتم الناس ، قالوا : بالصبر ، لم نلق قومًا إلا صبرنا لهم ، كما صبروا لنا .

وقال بعض السلف : كلنا يكره الموت وألم الجراح ، ولـكن نتفاضل بالصبر .

والصبر يكون فى جهاد العدو الظاهر وهو جهاد الـكفار ، ويكون فى جهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى ؛ فإن جهادها من أعظم الجهاد كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المجاهدُ من جاهد نفسه فى الله » .

فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلبه ، وحصل له النصر والظفر ، وملك نفسه ، فصار ملـكا عزيزا .

ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك ، غُلب وقُهر وأُسر ، وصار عبداً ذليلا أسيراً فى يد شيطانه وهواه .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « إن النصر مع الصبر » يشمل النصر فى الجهادين : جهاد العدو الظاهر ، وجهاد العدو الباطن ؛ فمن صبر فيهما نُصِرَ وظفر ، ومن لم يصبر فيهما وجزع غُلب وقُهر .

المادة الخامسة

« وأن الفَرَج مع الـكَرْب » .

يشهد لهذه المادة قوله تعالى : « وهو الذى ينزّل الغيثَ من بعد ما قنطوا وينشر رحمته » .

وقال تعالى حاكياً عن يعقوب عليه السلام أنه قال لبنيه : « يا بنى اذهبوا فتحسَّسُوا من يوسف وأخيه ، ولا تيأسوا من روح الله » .

لأن الدين الإسلامىَّ حريص كل الحرص على أن يحارب اليأس فى النفوس ،

وينزع القنوط من الصدور : « قل يا عبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » وقال تعالى : « ومن يقْنَط من رحمة ربه إلا الضالون » وقال تعالى : « فلا تـكن من القانطين » .

فإن الله يربى عبده على السراء والضراء ، والنعمة والبلاء ، فيستخرج منه عبوديته ، ويصقل منه نفسيته ؛ فإن العبد على الحقيقة هو من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال فى البأساء والنعماء ، والسراء والضراء . أما عبد العافية والسلامة ، الذى يعبد الله على حرف ، فإن إصابه خير اطمأن به ، وأن إصابته فتنة انقلب على وجهه ، فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته .

فلا ريب أن الإيمانَ الذى يثبت فى أوقات الابتلاء والعافية ، هو الإيمان الحق ، واليقين الصدق ، أما إيمانُ العافية فلا يكاد يصحب العبدَ ، ويبلغه منازِلَ الصديقين .

فالابتلاء والـكرب ، كيرُ العبد ، ومَحك إيمانه ؛ فإما أن يخرج تبراً أحمر ، وإما أن يخرج زَغلاً مَحْضا .

المادة السادسة

« وأن مع العسر يسراً » .

هذه منتزعة من قوله تعالى : « سيجعل الله بعد عسر يسراً » وقوله عز وجل : « فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا » .

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالـكرب واليسر بالعسر أن الـكرب إذا اشتد وعظم وتناهى ، وحصل للعبد اليائس من كشفه من جهة المخلوقين تعلق قلبه بالله وحده ؛ وهذا هو حقيقة التوكل على الله وهو من أعظم الأسباب التى تُطلب بها الحوائج ، فإن الله يكفى من توكل عليه ، كما قال تعالى :« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

روى بن جرير فى تفسيره أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عوف بن مالك الأشجعى كان له ابن ، وأن المشركين أسروه فكان فيهم ، وكان أبوه يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التى هو بها وحاجته ، فـكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له إن الله سيجعل

لك فرجا . فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى انفلت ابنه من أيدى العدو ، فمر بغنم من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه ، وجاء معه بغنم قد أصابه من المغنم فنزلت فيه هذه الآية : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

قد تقع أمم أو أشخاص فى ضرب من ضروب العسر ، ثم يستولى عليهم الضعف فى هممهم ، فيقعدون عن الخلاص مما أطبق عليهم منه ، فيدوم لهم العسر ، وقد يفنون وتنشأ فيه أعقابهم ؛ مع أنهم لو استعملوا ما وهبهم الله من القوى للخلاص مما نزل بهم ، لانكشف عنهم بلا ريب ذلك العسر ، ولانفرج ذلك الضيق .

أما الذين لابصيرة عندهم فى تصريف تلك المواهب الإلهية ، بل يطلبون أن ينتهوا إلى الغايات بغير بدايات ، وأن يصلوا إلى المقصد بغير وسائل ، فلايستعملون عقولهم ، ولا عزائمهم فى دفع مايحل بهم ، وليس لهم ثقة بربهم ، فيعملوا معتمدين عليه — هؤلاء لابد أن يحيق بهم ذلك العسر ، ويستولى عليهم ذلك الضيق ، من كل جانب ، حتى يألفوا الذل ، ويستنيموا إلى الألم ، لأنهم خالفوا سنن الله الكونية ، وأهملوا النواميس الإلهية : « فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا » .

ونسوا قول نبيهم صلوات الله عليه فيما رواه البزار فى مسنده : « لو جاء العسر فدخل هذا الجحر ، لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » .

من وصايا لقمان

اغلب غضبك بحلمك ، ونزقك بوقارك ، وهواك بتقواك ، وشكك بيقينك ، وباطلك بحقك ، وشحك بمعروفك .

كن فى الشدة وقوراً ، وفى المكاره صبوراً ، وفى الرخاء شكوراً ، وفى الصلاة متخشعاً ، وإلى الصدقة متسرعاً .

حصاد ربع قرن
فى حقل الدعوة الإسلامية فى الشام

الأستاذ على الطنطاوى

المستشار فى محكمة النقض السورية

هذا بحث ولد قبل استكمال مدة الحمل ، ولست أدرى أيموت من يومه أم يمنّ الله عليه فيكتب له الحياة ، ذلك أنى كنت أدوِّن عناصره ، وأجمع أجزاءه ، ليجىء تاريخا كاملا للدعوة الإسلامية فى بلاد الشام خلال ربع القرن الماضى ، فجاءتنى برقية الأخ الأستاذ سعيد رمضان تستعجلنى ، فكتبته فى مجلس واحد وأنا موقن أنى نسيت كثيرا من الحقائق التى يجب أن تقال فى هذا المجال ، وإن كنت موقنا أيضا بأننى لم أقل إلا حقا .

وأنا أتردد من ربع قرن على مصر والعراق ولبنان ، وأقيم فى كل منها الشهور الطوال ، أو السنة كلها أحيانا ، والشام بلدى ، وأعرف فى كل من البلاد الأربعة ، وفى الحجاز أيضا ، الصفوةَ من علمائه والدعاة إلى الله فيه ، وأعمالهم وجهودهم ، وكنت على أن أحاول كتابة فصول فى تاريخ الدعوة فيها جميعا ، ثم رأيت أن أقتصر على الشام وأدع لغيرى ممن هم أعلم منى كتابة الباقى .

* * *

لما قدمت مصر أول مرة كانت الدعوة الإسلامية فيها منحصرة فى الأزهر المعمور ، والرجال الذين تخرجوا فيه أو على أسلوبه ، وفى المدارس التى كانت تنحو منحى الأزهر (وإن كان جلّ عنايتها بالعلوم اللسانية) كدار العلوم ، وفى أفراد معدودين من غير الأزهريين ، أخصّ بالذكر منهم : أحمد تيمور باشا رحمه الله ، الذى كان أمة وحده فى دينه وعلمه وخلقه وتحقيقه وحيائه وتواضعه ، ومن هو أقرب الناس شبهاً به فى سمته وصمته وأدبه وعلمه ، أستاذنا السيد الخضر حسين مدّ الله فى عمره ، وخالى وأستاذى محب الدين الخطيب الذى كان أول عامل على تنظيم الدعوة الإسلامية

فى مصر ، كما كان أول عامل على إحياء الفكرة العربية فى الشام من قبل ، والطائفة المختارة من إخواننا كالدكتور الدرديرى ، والأساتذة محمود شاكر وعبد السلام هارون وعبد المنعم خلاف ، وآخرين لا تحضرنى الآن (من المجلة) أسماؤهم . وكان مقرّهم المطبعة السلفية فى شارع الاستئناف عند الأستاذ الخطيب ، وهنالك عرفت بعضا منهم ، وعرفت بعضا فى دار العلوم العليا ، وقد دخلتها حوالى سنة ١٩٢٩ ولم أتمها[1] ، وفى مجلة المنار .

والأزهر وإن ظل دهرا طويلا المعقل الإسلامى من هجمات الإلحاد ، والمصباح الهادى فى ظلمات الجهل — قد اقتصر عمله على التعليم دون التوجيه الاجتماعى ، واقتصر التعليم فيه على قراءة كتب معينة ، من كتب المتأخرين ، وصرف الجهد كله فى حل العقد فى ألفاظها وكشف الغامض من معانيها ، أى أن المقصد من التعليم كان الكتاب لا العلم (كما قال الشيخ محمد عبده) ، وكانت كتب الأئمة الأولين فى الفقه والعربية وغيرها منسية متروكة لا يكاد أحد يرجع إليها ، وكان من هذه العلوم ما هو عبث لا طائل تحته ، ولا يكاد ينفع فى دنيا ولا دين ، كعلم الكلام (النسفية والسنوسية والمواقف وأشباهها) وعلم المنطق ، ولقد كاد يسبقنى القلم فألحق بها الكتب الأزهرية فى البلاغة . . . وهى أقوى العوامل فى إبعاد الطلاب عن البلاغة !

وكان عمل (المنار) وتلك الطائفة من العلماء الأخيار منحصراً فى بقعة ضيقة وأفراد قلائل ، لا يتعداهم أثره ، ولا يصل إلى جماهير الشعب ولا إلى طلاب المدارس . ولم يكن للدعوة من الصحف إلا المجلة الأسبوعية الجديدة (يومئذ) مجلة الفتح التى أنشأها الأستاذ محب الدين . ولم أعدّ (المنار) من الصحف لأنها أولاً مجلة شهرية ، ولأنها علمية ترتفع ثانياً عن أفهام الشباب ومدارك الأوساط من الناس ، ولأنها لا تكاد تباع فى الأسواق ولا يقرؤها إلا المشتركون فيها ، لذلك كله لم تتصل بالناس اتصالا مباشرا ، وإن كان لها أثر غير مباشر : أثر ظاهر ، فى توجيه الفكر الإسلامى الحديث ، وإن قراءها على قلتهم كانوا منبثين فى جميع بلاد الإسلام ، وكان لهم فى بلدانهم منزلة عالية ومكان مرموق .

---

(١) وقد علمت بعد أنه كان من رفاقنا فيها الأخ (لسان الدين) الأستاذ سيد قطب .

فكان الناس قسمين : مشايخ وأفندية ، وكان الشعب بينهما متديّنا على جهل بحقائق الدين ، متمسكا بالإسلام على مزج لكثير من البدع والخرافات بالإسلام ، كان يجمع بين شهادة أن (لا إله إلا الله) ، وبين العكوف على القبور وسؤال أصحابها مالا يقدر عليه إلا الله ، ومن أنكر عليهم شيئا من ذلك وصموه بالوهابية ، وقد لا يبالى القارئ الشاب اليوم بهذه الوصمة ، ولا يرى فيها شيئا ، ولكنها كانت يومئذ من الوصمات الكبار ، وأذكر أنى علقت مرة فى (علقة) الأستاذ فى المدرسة ، ونالت قدمىّ عصاه ، لأنى ضبطت بالجرم المشهود ، حين أمسكت واقفا على درس الشيخ عبد القادر بدران فى جامع بنى أمية فى دمشق . . . .

هذه الصورة التى صوّرت بها مصر ، قبل ربع قرن ، هى (مصغّرة) صورة الشام فى تلك الأيام . .

كان فى الشام مشايخ[1] أجلاء ، من أوعية العلم وصدور العلماء ، ولكنهم كانوا (على الغالب) جاهلين بأحوال الناس ، ينفرون من كل جديد ، ويطمئنون إلى كل قديم ، عجزوا عن الدعوة إلى الله بالأساليب العصرية الجديدة ، وعن إدراك (عقلية) الشباب ، فانسحبوا من المعركة ، وأخلوا الميدان ، وانطووا على نفوسهم ، واعتكفوا فى مدارسهم ومساجدهم .

و (أفندية) يقودهم من كانوا يسمون فى الشام رجال الرعيل الأول . . . من

---

(١) أذكر منهم على سبيل المثال المحدثين الحافظين الشيخ بدر الدين الحسنى والسيد محمد بن جعفر الكتانى رحمة الله عليهما ، والفقيهين الجليلين المعمرين الشيخ عبد المحسن الأسطوانى والشيخ سليمان الجوخدار شيخى القضاء والإفتاء مد الله فى عمريهما ، ومن فقهاء الحنفية الشيخ عطا الكسم المفتى السابق (رحمه الله) والمفتى الحالى الشيخ محمد الأسطوانى والشيخ أبا الخير الميدانى والشيخ نجيب كيوان والشيخ مصطفى الطنطاوى (رحمهما الله) ومن فقهاء الشافعية الشيخ أحمد الجوبرى (رحمه الله) والشيخ صالح العقاد والشيخ هاشم الخطيب والشيخ على التكريتى (رحمه الله) والشيخ محمود ياسين (رحمه الله) والصوفى المتكلم الشيخ أمين سويد (رحمه الله) والعالم الأديب الشيخ توفيق الأيوبى (رحمه الله) ومن فقهاء المالكية الشيخ محمد الكافى والشيخ الطيب مفتى المالكية (رحمه الله) والشيخ حسن الشطى والشيخ جميل الشطى مفتى الحنابلة والواعظ الشيخ على الدقر (رحمه الله) والسلفى النظار الشيخ بهجة البيطار والعالم الصوفى السيد سعيد حمزة نقيب الأشراف والداعية الشيخ صلاح الدين الزعيم الشافعى والفقيه الحنفى الصوفى الشيخ إبراهيم الغلايينى والمالكى الصوفى الشيخ محمد الهاشمى والواعظ الأديب الشيخ عبد القادر الإسكندرانى (رحمه الله) والفقيه الأصولى الشيخ محمود العطار (رحمه الله) .

الوطنيين ، وكانوا (على الغالب) جاهلين بالإسلام ، ليس فى نفوسهم منه إلا صور مشوّهة ، وكانوا حرباً على أهله والداعين إليه ، وإن كان لهم فضل العمل على دفع الاستعمار وتحقيق الاستقلال . وأستطيع أن أمثل عليهم ، وعلى موقفهم من الإسلام ، باثنين : الأستاذ الكبير ساطع الحصرى شيخ المربّين من العرب ، الذى حارب الدعوة الإسلامية عمره كله ، بقلمه ولسانه وسلطان وظيفته (كلما ولى وظيفة) حربا عامية منظمة . وكان أسلوبه فى محاربتها ، هو العمل على إحلال العربية محل الإسلامية ، وهى بذاتها دعوة الجاهلية التى نهى رسول الله عنها ، وبيّن أن صاحبها ليس منا ، وإقامة برامج المدارس على هذا الأساس الواهى .

والوطنى المعروف فخرى البارودى ، وهوزعيم شعبى محبوب ، كان له فى كل حركة وطنية عمل ، ولكنه (مع الأسف) حرب على الدعوة الإسلامية ، وأسلوبه فيها أسلوب المستهزئين من كفار قريش : وهو سوق النكات العامية والسخرية بالمشايخ ، وتركيب النوادر عليهم على نحو ما يركبها بعض الملحدين من النصارى على قسوسهم ورهبانهم .

وهنالك أسلوب ثالث هو نفث هذا الحقد الدفين على المشايخ ، (الذين يمثلون الفكرة الإسلامية) بضربهم بسيف الحكومة ، وقد طبق هذا الأسلوب على أفظع شكل ، حينما ولى الحكم فى الشام سعد الله الجابرى الحلبى ، وهو أيضاً من رجال الرعيل الأول . . . وبطش بالمشايخ ، وأودع كثيراً منهم السجون ، وهاج بهم الجرائد ، لسبب تافه ليس هذا موضع بيانه .

وسبب هذا كله المشايخ ، أعنى بعضهم ، فهم الذين طبعوا فى نفوس هؤلاء الناس تلك الصورة المشوهة للإسلام . المشايخ الذين طالما لقينا من تكفيرهم من يقول بكروية الأرض وحركتها ومن يدرس الجغرافيا والكيمياء والطبيعة ! وقد صرّح لى بذلك الأستاذ ساطع الحصرى فى القاهرة سنة ١٩٤٧ ، فقلت له :

— إن هذا العذر من مثلك غير مقبول ، لأنك تستطيع فى قوة عقلك ، وسعة علمك ، أن تعرف حقيقة الإسلام من مصادره وتخلى ذهنك مما تقول أن أولئك المشايخ قد وضعوه فيه ، وأن تدرسه من جديد فترى أن الإسلام ليس ديناً جامداً ولا منافياً للحضارة ، ولا معارضاً للمنطق ، وأنه هوالطريق إلى ما نسعى إليه جميعاً من استعادة أمجادنا ، واسترداد مكاننا بين الأمم .

ولو فعل ذلك الأستاذ لصار من أقوى دعاة الفكرة الإسلامية ، أما السيد فخرى البارودى وأمثاله من رجال الرعيل الأول ... وصحفيّ ... الرعيل الأول ... فلا تنفع معهم مناظرة ، ولا يفيد جدال ، وهل يُناظر الهازل ، ويجادل الساخر ، ويناقش المناقشة العلمية من يتكلم عما لا يعلم ، ويهرف فيما لا يعرف ؟ وهل تجادل فى فائدة الهندسة ، من يسخر من الهندسة وأهلها ، كما فعل أحمد بن ثوابه (راجع طبقات الأدباء) ويهجوهم بالنكات والنوادر والمضحكات ، وهو بعد لم يدرس الهندسة فى عمره ، وليس يدرى أتبحث فى السطوح والأجسام ، أو فى قواعدطبخ الباذنجان ، وسيرة كسرى أنوشروان ؟

* * *

وكانت الجرائد معهم ، وكان لهم من الشعب المناضل مكان القيادة ، فمكن ذلك لهم ، حتى استطاع فخرى البارودى أن يجمع مرة فى خطبة واحدة فى الجامع الأموى ، بين التعريض بذم شيخ الإسلام فى ديار الشام الشيخ بدر الدين أخذاً له بجريرة ابنه الذى كان رئيس الوزراء ، والتصريح بمدح البطريرك المارونى فى لبنان . وقال ، إنه يحج إلى بكركى (مقر البطريرك) ، نعم ، بهذا اللفظ وفى جامع بنى أمية .

وبقى المشايخ فى عزلتهم حتى أخذت الحماسة الدينية مأخذها من اثنين منهم ، هما : الواعظان الشعبيان ، العالمان الشيخ على الدقر ، والشيخ هاشم الخطيب ، وكان الأول أكثر شعبية وصوفية ، والثانى أعلم ، فقاما بحركة هزّت دمشق وضواحيها هزّاً عنيفاً ، وجددا الدعوة إلى الدين بعزيمة صادقة ، وهمة وحماسة وعنف شديد ، فأقبل عليهما الناس إقبالاً منقطع النظير ، ولكنهما مع الأسف قد جعلا همهما الأكبر اتخاذ العمائم وإسبال اللحى ، وإلباس النساء الأزر البيض بدل الملاءات السود .

ثم إنهما دعوا إلى مقاطعة مدارس الحكومة قبل أن يعدوا مدارس غيرها ، وإلى ترك العلوم الطبيعية ونبذ الأدب والاقتصار على النحو والفقه والحديث والتفسير والتصوف ! فكان ذلك سبباً فى فشل هذه الدعوة ، وكان فشلها سريعاً كما كان نجاحها سريعاً ، فكانت كأنها حريق فى تلّ من القش .

على أن هذه الوثبة قد أبقت أثرين :

أولها : أن العلماء لما رأوا هذا النجاح تبدد ما كانوا فيه من اليأس ، وعلموا أنهم يستطيعون إذا شاءوا ، اقتحام الميدان الشعبى ، وأن العاطفة الدينية لاتزال أقوى العواطف فى صدور العامة من أهل الشام .

والثانى : أن الجماعة التى كونتها هذه الوثبة ، قد اتبعت من بعد سبيل الحكمة ، وسايرت الزمن من حيث يسير ، فاستطاعت أن تنشىء مدارس عدة ثانوية ، ودينية ، وأن يكون تلاميذها فى مقدمة الناجحين فى البكالوريا فى كل دورة .

* * *

ابثت الحال على ذلك إلى أن أُلّفت جمعية الشبان المسلمين ، فكان تأليفها بداية مرحلة جديدة فى طريق الدعوة ، هى مرحلة العمل المنظم . ومن الوفاء للحقيقة أن أقرر أنها ولدت فى دار المطبعة السلفية فى شارع الاستئناف ، ولما عدت إلى مصر المرّة الثانية كان رئيسها الأستاذ الكبير فى جسده ورجولته وقلبه وإيمانه عبد الحميد سعيد (خلف فى الرياسة الأستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش) ، وكان أمين سرّها خالى الأستاذ المحبّ ، ثم ألّفت جمعية الهداية الإسلامية ، وكان رئيسها من يوم تأسيسها (فيما أعلم) الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر اليوم وألّف مثلهما فى دمشق وفى بغداد ، ثم ألّفت فى دمشق جمعية التمدن الإسلامى ، وكان تلاميذ الأستاذ الشيخ على الدقر ، قد ألّفوا جمعية سمّوها (الجمعية الغراء لتعليم أولاد الفقراء) .

وسأصف لكم هذه المرحلة فى المقالة الآتية إن شاء الله .

الرزايا إذا تجلت تخلت

إن يكن نالك الزمان بصرف ضرّمت ناره عليك فجلّت
وأتت بعدها قوارع أخرى خضعت أنفس لها حين حلت
فاخفض الجأش واصبرنّ رويداً فالرزايا إذا تجلّت تخلت

« محمد بن زيد العلوى »

من ملامح هذا الدين

فى الصلاة

يسر . . .

« عن ابن عباس أنه قال لمؤذنه فى يوم مطير ، إذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل حى على الصلاة ، قل صلُّوا فى بيوتكم ، قال فكأن الناس استنكروا ذلك ، فقال أتعجبون من ذا فقد فعل ذا من هو خير منى (يعنى النبى صلى الله عليه وسلم) إن الجمعة عزمة ، وإنى كرهت أن أخرجكم فتمشوا فى الطين والدَّحض » .

متفق عليه

***

نظافة ورواء . . .

« وعن أبى أيوب رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من اغتسل يوم الجمعة ، ومسَّ من طيب إن كان عنده ، ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتى المسجد فيركع إن بدا له ، ولم يؤذ أحداً ، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى ، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » .

رواه أحمد

***

نظام وتقدير . . .

«عن أبى مسعود الأنصارى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول : استووا ولا تختلفوا ، فتختلف قلوبكم ، ليلينى منكم أولو الأحلام والنهى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجة

* * *

روح الجماعة . . .

« وعن عمرو بن أم مكتوم قال : قلت يا رسول الله أنا ضرير شاسع الدار ولى قائد لا يلائمنى فهل تجد لى رخصة أن أصلى فى بيتى ، قال أتسمع النداء ؟ قال نعم ، قال ما أجد لك رخصة » .

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة

* * *

وقال صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجلين يؤم أحدهما صاحبه أزكى عند الله من صلاة أربعة تترى . . وصلاة أربعة أزكى عند الله من صلاة ثمانية تترى . . وصلاة ثمانية يؤمهم أحدهم أزكى عند الله من صلاة مائة تترى » .

رواه أحمد

* * *

سلامة القيادة . . .

« وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعلوا أئمتكم خياركم ، فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم » .

رواه الدار قطنى

من فقه القرآن والسنة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٨)

بعض البيوع الربوية ، بيع الوفاء

لا خلاف فى حرمة البيوع الربوية على تعدد صورها وأنواعها ، والربا أمر معروف وتحريمه لايحتاج لدليل غير ماورد فى كتاب الله وسنة رسوله ، ولذلك لا نرى حاجة لترديد الكلام فى هذه البيوعات .

ولكن نرى من الخير أن نذكر كلمة مفصلة عن نوع من البيوع هو فى حقيقته حيلة للتعامل بالربا ، ونريد بذلك بيع العِينَة ، فهو إذن وسيلة إلى غرض أو عقد غير مشروع . كما نذكر كلمة أخرى عن نوع آخر من البيوع اختلف العلماء فى حكمه الشرعى اختلافا كبيراً ، وهو بيع الوفاء .

١ — بيع العِينَة :

هذا البيع لا يراد منه إلا أن يكون حيلة للقرض بالربا . ومن صور هذا العقد أن يشترى إنسان شيئاً بثمن مؤجل ، ثم يبيعه لصاحبه بثمن حالٍّ أقل مما باعه به ، وفى نهاية الأجل فى العقد الأول يدفع المشترى الأول الثمن الذى تعاقد عليه كله ، فيكون الفرق بين الثمنين فائدة أو ربا لصاحب المال والمتاع الذى بيع للمحتاج للقرض .

وقد يتوسط بين صاحب المال وبين مريد الاقتراض شخص ثالث يشترى العين من المحتاج للقرض بثمن حال ، بعد أن يكون هذا قد اشتراها من مالكها صاحب المال بثمن أكثر إلا أنه مؤجل ، ثم يبيعها للمالك الأول (أى صاحب المال والعين) بالثمن الحال الأقل ، فيكون الفرق ربا له .

على أن بطلان هذا البيع ، وهو وسيلة إلى التعامل بالربا كما عرفنا ، ليس محل اتفاق من الفقهاء . فهذا الإمام الشافعى يجيزه لتحقق ركنه وهو الإيجاب والقبول ، ولاعبرة فى رأيه بالنية التى لا يمكن لنا أن نتحققها يقينا . وكذلك ذهب أبو يوسف من أصحاب الإمام أبى حنيفة إلى إجازته بلا كراهة ، وأجازه صاحبه محمد بن الحسن مع الكراهة ، حتى قال فيه : « هذا البيع فى قلبى كأمثال الجبال ، ذميم اخترعه أكلة الربا[1] » . وفى رأى الإمام نفسه ، أنه عقد فاسد إن لم يكن فيه ثالث قد توسط بين صاحب المال والمقترض[2] .

أما ابن حنبل وكذلك الإمام مالك[3] ، فيريان هذا البيع باطلا ، وأنه حقاً احتيال على شريعة الله التى جاء بها القرآن والسنة ، وهما يستدلان بهذا الحديث الذى روته العالية بنت أيفع بن شرحبيل إذ تقول[4] :

« دخلت أنا وأم ولد زيد بن أرقم وامرأته على عائشة رضى الله عنها ، فقالت أم ولد زيد بن أرقم : إنى بعت غلاما من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم إلى العطاء ، ثم اشتريته منه بستمائة درهم (حالّة طبعا) فقالت : بئس ماشريت وبئس ما اشتريت ! أبلغى زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتوب » .

ونحن نرى أنه لا معنى مطلقاً لجواز مثل هذا البيع ولو اعتبرناه مكروها ، مع أنه ليس إلا حيلة للتعامل بالربا ومع ورود هذا الحديث ، لأن عائشة رضى الله عنها لاتقول مثل هذا القول الغليظ إلا عن معرفة من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم ، لنا أن نضيف لهذا الحديث حديثاً آخر رواه أبو داود وغيره من أصحاب مجاميع الحديث ، وهو كما جاء ببعض الروايات عن ابن عمر رضى الله عنهما ، إذ يذكر أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « إذا ضَنَّ الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا

---

(١) لا ندرى لم أجازه وهو يراه كما وصف ؟ !

(٢) راجع المغنى لابن قدامة الحنبلى ، جـ ٤ : ١٧٤ ؛ الدر المختار وحاشية ابن عابدين ، جـ ٤ : ٢٥٥ و ٢٩١ ؛ فتح القدير على الهداية ، جـ ٥ : ٢٠٧ - ٢٠٩

(٣و٤) يراجع المغنى ، جـ ٤ : ١٧٤ — ١٧٥ ؛ الشرح الكبير للدردير المالكى مع الحاشية ، جـ ٣ : ٩٩ ؛ نيل الأوطار ، جـ ٥ : ٢٠٦

بالعينة ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم[١] » .

٢ — بيع الوفاء :

هذا البيع من العقود التى اشتد فيها خلاف العلماء ، ونراه فاشياً فى الريف بخاصة عندنا بمصر وبغير مصر من البلاد الإسلامية . لهذا ، نرى من اللازم أن نقول فيه كلمة هنا ، ونحن بصدد بحث بعض العقود المحرمة وإن كان قد اختلف الفقهاء فى صحتها أو بطلانها . وصورة هذا البيع أن يبيع الإنسان داراً أو أرضا له ، على أن يردها عليه البائع أو يبيعها له ثانيا إذا رد له الثمن الذى أخذه منه .

وليس من السهل تكييف هذا العقد ؛ فإن له صورة البيع ، وفيه بعض أحكامه كانتفاع المشترى بالمبيع والبائع بالثمن ؛ كما أن فيه معنى الرهن ، بل قيل إنه رهن حقيقة مادام الشرط أن يرد المشترى ما اشترى إذا دفع له البائع بعد حين ما أخذ من الثمن ، ولكن فى الرهن ليس للمرتهن (وهو هنا المشترى) الانتفاع بالشىء المرهون ؛ وأخيراً ، فيه شبه من الإقالة ، مادام المشترى قد قبل رد المبيع عند طلب من باعه متى رد له الثمن كما قلنا .

ومن أجل هذا كله ، اختلف العلماء اختلافا كثيراً فى حكم هذا النوع من البيع كما قلنا[٢] . فهذا صاحب جامع الفصولين يذكر أن « البيع الذى تعارفه أهل زماننا وسموه بيع الوفاء هو رهن فى الحقيقة ، لايملكه ولا ينتفع (أى المشترى) به إلا بإذن مالكه ، وهو ضامن لما أكل من ثمره وأتلف من شجره ، ويسقط الدين بهلاكه لو بقى ولا يضمن الزيادة ، وللبائع استرداده إذا قضى دينه ، لا فرق عندنا بينه وبين الرهن فى الأحكام » .

وقال صاحب الدر : وقيل إنه بيع يفيد الانتفاع به وعليه الفتوى ؛ ثم إن ذكر

---

(١) نيل الأوطار ، جـ ٥ : ٢٠٦ ؛ القرطبى ، جـ ٣ : ٣٦٠ . وقد رجح صاحب نيل الأوطار دلالة هذا الحديث على التحريم خلافا للبعض ، راجع ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) نكتفى هنا بابن عابدين إذ جمع كثيراً من النقول عن الفقهاء ، راجع حاشيته على الدر المختار جـ ٤ : ٢٥٧ — ٢٦٠

البائع والمشترى الفسخ (أى الوفاء بالدين ورد المبيع) فى العقد أو قبله أو زعماه غير لازم ، كان بيعا فاسدا[١] ، ولو بعده على وجه الميعاد جاز ولزم الوفاء به لحاجة الناس وهو الصحيح .

وهنا ، نلاحظ أن فى مجلة الأحكام الشرعية ، المادة ١١٨ ، تكييف بيع الوفاء هذا بأنه فى حكم البيع الجائز ، وفى حكم البيع الفاسد ، وفى حكم الرهن . كما نشير إلى أنها فى المواد ٣٩٦ — ٤٠٣ أجازته وعملت على تنظيمه ليؤدى الغاية منه .

وكذلك نذكر أن المادة ٤٦٥ من القانون المدنى الجديد جعلت هذا البيع باطلا ، ولكن الذى يراجع المراحل التى سبقت هذا القرار يتبين أن مجلس النواب وافق على إجازته كما كان سابقا ، وفى مجلس الشيوخ انقسم أعضاء لجنة القانون المدنى فيما بينهم ؛ فأجازه البعض سداً للحاجة ، ومنعه آخرون رأوا عدم النص عليه اكتفاء بأحكام الرهن ، وكان من المجيزين الأستاذ الدكتور السنهورى[٢] .

وربما كان لنا أن نقول بعد ذلك كله ، إن وصف البيع فى هذا العقد أظهر بكثير من وصف الرهن ، لاسيما والمرتهن لايدفع عادة لمالك الشىء المرهون إلا نحو نصف قيمته ، على حين أنه فى بيع الوفاء يدفع المشترى ثمن المثل أو أقل قليلا ؛ كما أنه فى الرهن لا تكون هناك فكرة التملك ، على حين أنها هى الغالبة من أول الأمر فى البيع الوفائى .

نقول هذا ، على الرغم مما نقله صاحب الدر المختار عن بعض الفقهاء من الأحكام التى تجعل هذا العقد رهنا . ومن هذه الأحكام[٣] :

(ا) لو باع البائع ما باعه بشرط الوفاء ، لآخر بيعا باتًّا ، توقف هذا العقد الثانى على إجازة المشترى الأول .

(ب) لو باع المشترى ما اشتراه بشرط الوفاء ، فللبائع الأول أو ورثته حق الاسترداد بدفع الثمن الذى كان قد أخذه .

---

(١) لأنه حينئذ يكون بيعاً وشرطا ، وقد نهى الرسول عن بيع وشرط .

(٢) مجموعة الأعمال التحضيرية ، ج ٤ : ١٦٤ وما بعدها .

(٣) ج ٤ : ٢٠٨ . وانظر ابن عابدين فى الصفحة نفسها ، فيما يختص بعدم صحة استئجار الشخص ماباعه وفاء لأنه عقد رهن .

(ح) تقوم ورثة كل من البائع والمشترى فى هذا العقد مقام مورثها ، نظراً لجانب الرهن .

هذا ، والنتيجة التى وصلنا إليها من البحث هى أننا نميل إلى اعتبار هذا العقد عقد بيع ، وأنه جائز من باب الاستحسان اعتباراً للعرف ولحاجة الناس . وفى هذا ، يذكر ابن نجيم المصرى الحنفى أنهم قالوا : إن بيع الوفاء صحيح « لحاجة الناس إليه فراراً من الربا ... وماضاق على الناس أمر إلا واتسع حكمه »[1] .

وما أحرانا أن نقر هذا العرف الذى أقره جمع من أسلافنا الفقهاء ، توسعة على الناس ، وإبعاداً لهم عن الاقتراض بالربا . وبخاصة ، وليس فى هذا إلا الوعد من المشترى برد ما اشتراه إلى مالكه حين يدفع إليه الثمن الذى كان قد أخذه منه . وقد يكون من الخير اشتراط مدة يباح فيها للبائع استرداد ماباعه على هذا النحو ، وإلا كان البيع باتاً نهائياً ضمانا لاستقرار المعاملات .

إننا نرى أن منع هذا البيع ، أو نص القانون المدنى الجديد على عدم جوازه ، قد يضر بكثير من صغار الملاك الذين يكونون فى حاجة شديدة لمبلغ من المال لايستطيعون الحصول عليه إلا بمثل هذا التصرف الذى يرجون منه دفع الحاجة ثم استرداد ماباع بيعا وفائيا ، فإذا منعناه بحكم القانون من هذا التصرف مع إلحاح الحاجة عليه اضطر إلى بيع ملكه بيعاً نهائياً ، وما أعظم الضرر عليه حينذاك .

من الخير إذن ، مراجعة الأمر ، وإباحة هذا الضرب من البيع ، على أن يشتد القانون فى رعاية حق البائع والمشترى ، وبخاصة البائع ، لأنه المحتاج ، ولنا فى آراء الفقهاء — كما عرفنا — فى هذه الناحية دليل ومستند يصح الاستناد إليه فى تجويز هذا البيع للحاجة إليه ، والله ولى التوفيق والسداد .

(١) النظائر والأشباه ج ١ ص : ١٣٥ .

الطريق إلى مكة

للأستاذ محمد أسد

ترجمة السيد سالم على سالم

« ذكرنا فى العدد الماضى أن الأستاذ محمد أسد يعكف على إعداد كتاب جديد عنوانه « الطريق إلى مكة » ، وقد بعث إلينا — مشكورا — بفصول منه ، ننشر اليوم ترجمة فصل منها كتبه عن فترة من حياته قضاها فى المدينة المنورة سنة ١٩٣٢ ... » «التحرير»

أمضيت عصر اليوم فى المدينة إلى جانب الشيخ عبد الله بن بُلَيْهِد فى ساحة الحرم السماوية الواسعة ، والساحة محاطة بالأروقة الرحبة من ثلاثة جوانب ، وفى الرابع الجنوبى تنفسح الساحة إلى قاعة عظيمة ذات عمد .

صفوف طويلة من السجاد ممتدة على أرض الساحة ، وصفوف من الرجال عليها رابضون ، يعكفون على تلاوة القرآن ، أو يتحادثون ، أو يتأملون ، أو يقطعون الوقت فى انتظار صلاة المغرب ، أما «ابن بليهد» فقد بدا كأنما غاب فى دعاءصامت ...

ذاك صوتُ «حسن» القارىء يُسمع من بعيد يتلو كعادته قبل صلاة المغرب حزباً من القرآن . إنه اليوم يتلو السورة السادسة والتسعين — الأولى مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم — وهى تبدأ بالكلمات : « اقرأ باسم ربك . . . » لقد تنزل الوحى من عند الله بهذه الكلمات على محمد لأول مرة وهو فى غار حراء بجوار مكة .

لقد كان (صلى الله عليه وسلم) يصلى وحيداً ، كما كان يفعل غالباً من قبل ، يصلى للنور والحق ، وفجأة ظهر له ملاك يناديه : « اقرأ ! » ، ومحمد ، كمعظم أهل بيئته ، لم يتعلم القراءة قط ، فضلاً عن أنه لم يعرف حينئذ ما الذى كان يطلب منه أن يقرأه ، فأجاب : « ما أنا بقارئ » فأخذه الملاك وضمه إليه حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله وأعاد عليه قوله « اقرأ » وأجاب محمد ثانية « ما أنا بقارئ » فضمه الملاك ضمة أخرى حتى تخاذلت قواه وظن أنه الموت ، ومرة أخرى عاد الصوت القوى ينادى

« اقرأ » ولما همس محمد للمرة الثالثة فى آلامه الشديدة « ما أنا بقارئ . . . » ، أرسله الملاك وتكلم :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علَّم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم . . . » .

وهكذا ، مع الإلماع إلى الضمير والإدراك والعلم الإنسانى ، بدأ تنزيل القرآن الذى استمر ثلاثة وعشرين عاماً — حتى وفاة النبى فى المدينة فى سن الثالثة والستين .

قصة بدء الوحى الإلهى هذه تذكر المرء فى بعض نواحيها بمصارعة يعقوب للملاك كما يذكر سفر التكوين فى التوراة ؛ إلا أنه بينما نجد أن يعقوباً قاوم ، نرى محمداً قد أسلم نفسه لضمة الملاك فى رهبة حتى تخلت عنه كل قواه المادية ، ولم يبق فيه سوى قابلية الإصغاء إلى الصوت الذى لم يعد يمكن تمييزه أنابع هو من أعماقه أم منسكب فيه من خارج ؟ ! إنه لم يعلم بعد أنه منذ الساعة سيكون ممتلئا وخالياً فى آن واحد : خَلْق إنسانى ممتلىء بالدوافع والرغائب ، وفى الوقت نفسه أداة معدَّة لتلقى رسالة . إن كتاب الحق الأزلى الذى لا يُرى : الحق الذى يعطى وحده لكل الأشياء الحسية والأحداث معناها — كان مفتوحاً سافراً أمام قلبه ليعيه ، وقد قيل له اقرأه على الدنيا حتى يعلمه الذين لا يعلمونه ، وما كان لهم بغير الوحى أن يعلموه !

إن تشابك هذا المنظر الهائل بهر محمداً ، لقد ظن — كما كان موسى حيال قبس النار — أنه غير جدير بمنزلة النبوة السامية ، وارتجف عندما خطر له احتمال اختيار الله له . وتذكر السيرة أنه عاد إلى بيته فى مكة ونادى زوجه خديجة « زملونى ، زملونى ! » فقد كان يرتجف كغصن فى مهب الريح ؛ فلفمته بدثار حتى سكن ارتجافه تدريجيا . ثم أخبرها بما حدث له وقال : « لقد خشيت على نفسى » لكن خديجة بالبصيرة الثاقبة التى لا يهيئها إلا الحب ، عرفت من توها أنه كان مشفقاً من ثقل العبء أمامه فأجابت : « كلا ، فوالله لن يحملك الله مالا تطيق ، ولن يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » . وحتى تروّح عنه أخذته إلى ورقة ابن عمها ، وكان متعلماً قد تنصر منذ سنوات عدة ، وكما ورد فى السيرة كان يقرأ الإنجيل بالعبرية ، وكان حينئذ

شيخاً كبيراً قد عمى . قالت له خديجة : « يا عم اسمع من ابن أخيك » ولما أخبره محمد بما رأى رفع ورقة يديه فى رهبة وقال : « ذلك ملاك الوحى الذى أنزله الله على الأنبياء من قبل . ليتنى فيها جذعاً ، ليتنى أكون حياً فأنصرك حين يخرجك قومك» وبدهشة سأله محمد . « أو مخرجىّ هم ؟ ! » فأجاب ورقة الحكيم : « نعم ، لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عودى » .

وقد عودى فملأ ثلاث عشرة سنة حتى هجر مكة إلى المدينة لأن أهل مكة كانوا طوال هذه الفترة قساة القلوب . . .

***

ليس من الصعب أن يُعرف سبب تلك الصلابة التى ظهرت فى قلوب أهل مكة أول ما صدع محمد بدعوته . فلخلوهم من كل حافز روحى لم يكونوا ليفقهوا سوى الأمور المادية ، لأنهم كانوا يعتقدون أن سمة الحياة يمكن أن تمد بالتوسع فى الوسائل التى تزيد فى الراحة الظاهرية . ولمثل هؤلاء القوم قد تبدو فكرة خضوع النفس بالكلية إلى معنى من معانى القيم أمراً لا يمكن احتماله — لأن الإسلام معناه « إسلام المرء نفسه إلى الله » — ثم إن تعاليم محمد قد هددت النظام المقرر للأمور ، والتقاليد القبلية الأثيرة لدى أهل مكة . إنه لما شرع فى الدعوة إلى توحيد الله وتسفيه عبادة الأصنام كذنب هو أكبر الذنوب ، لم يروا فى ذلك مهاجمة لمعتقداتهم التقليدية وحسب ، بل محاولة لهدم نظام حياتهم الاجتماعية أيضاً . إنهم لم يستسيغوا على الخصوص تدخل الإسلام فيما اعتبروه دنيوياً محضاً متصلاً بالحياة العملية خارج نطاق الدين كالاقتصاديات ومسألة العدالة الاجتماعية وسلوك الناس بوجه عام ؛ لأن هذ التدخل لم يكن ليتناسب مع تقاليدهم وفجورهم ونظراتهم إلى صالح القبيلة . لقد كانت الديانة عندهم مسألة شخصية : مسألة ميل شخصى أكثر منها مسألة سلوك .

هذه هى العقبة الحقيقية التى كان يواجهها النبى العربى عندما كان يتحدث عن الدين . فإن الحياة العملية والنظم الاجتماعية عنده داخلة كلها فى صميم دائرة الدين ؛ ولابد أنه كان يعجب إن ذكر له أحد أن الدين مسألة شعور شخصى فقط ولا دخل له بالسلوك الاجتماعى ! ! وهذه الظاهرة فى رسالته دون سائر مظاهرها جملتها غير

مستساغة إلى حد بعيد لدى أهل مكة الوثنيين . ولو لم يكن نفورهم بسبب تدخله فى مشكلات المجتمع لـكان مدى سخطهم على رسول الله أقل من ذلك ، وقد كان يُحتمل من غير شك أن يتبرموا فى حدود مخالفة معتقداته لنظرتهم الدينية ، وكان أقرب الاحتمالات حينئذ أن يستكينوا لها بعد تبرم مبدئى — كما استكانوا للدعوات المتفرقة إلى المسيحية قبل قليل — وذلك فقط فيما لو حذا رسول الله حذو الكهان المسيحيين ، واقتصر على حض الناس على الإيمان بالله والصلاة له التماساً للنجاة والغفران، والسلوك مسلك التقوى فى المصالح الشخصية . لـكنه لم يتبع المثال المسيحى ، فلم يقتصر على مسألة العقيدة والطقوس والآداب الشخصية . وأنَّى له ذلك ؟ ألم يأمره ربه بالدعاء « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » ؟

فى تركيب هذا التعبير من الآية القرآنية نرى أن الحسنة المرجوة فى الدنيا سابقة على حسنة الآخرة ، أولاً : لأن الحاضر يسبق المستقبل ، وثانياً : لأن الإنسان مكون بحيث لابد له من إشباع حاجاته الطبيعية الدنيوية قبل أن يكون قادراً على الإصغاء لنداء الروح والتماس الحسنة للآخرة .

إن الإسلام لم يفرض أن رسالته الروحانية شىء منفصل عن الحياة الطبيعية أو مخالف لها . إنه يبدأ بالإقرار بالحقيقة التى لا مفر منها وهى أن الإنسان مخلوق بشرى له حاجاته البشرية ، وأنه لا بد من أن يعيش فى جماعة حتى يستطيع استيفاء حاجاته الطبيعية ومطالبه الروحية . وبالاختصار فإن كلا منهما يعتمد على الآخر . وهكذا فإن استمرار التسامى عندى وعندك فى الناحية الروحية (وهى الأساس الأول فى كل ديانة) تعتمد على تعاون وتشجيع وحماية الناس من حولنا ، وهم بالطبع يتوقعون ذلك أيضاً من ناحيتنا ، وهذا هو السبب الذى يجعل الدين الإسلامى لا يمكن فصله عن الاقتصاد والسياسة .

إن الصورة الواحدة التى يظهرها الإسلام لوظيفة المجتمع الصحيحة هى تكوين العلاقات الإنسانية العملية بحيث يجد كل فرد فى حياته أقل ما يمكن من العقبات ، وأكبر قدر ممكن من الحوافز فى تكوين شخصيته ، وهذه هى الصورة التى جلاها النبى العربى أمام البشرية منذ بدء بعثته . إنه لم يقتصر على تكوين المستوى الأخلاق

فى الأفراد ، إذ كان عليه أن يهدف إلى ترجمة ذلك المستوى إلى نظام اجتماعى مستقر يوفر لكل عضو فى المجتمع أعلى ما يمكن من المستوى الطبيعى والمادى ؛ وبذلك تتاح الفرصة العظمى للنمو الروحى .

لقد طفق يقول للناس إن العمل من العقيدة ، لأن الله يعنى بأعمال الإنسان كما يعنى بمعتقداته ، وعلى الخصوص تلك الأعمال التى تتعدى شخص الإنسان إلى غيره من الناس . لقد نادى بكل ما آتاه الله من قوة فى التعبير منددا بطغيان الأقوياء على المستضعفين ، وأعلن على الملأ مالم يُسمع من قبل من تساوى الرجل والمرأة أمام الله ، وأن جميع التكاليف والجزاءات الدينية بالنسبة لكل منهما سواء . ومما أفزع حتى المنصفين من أهل مكة من الوثنيين ، القول بأن المرأة إنسان ولها حقوقها الخاصة لذلك ، وليس فقط لقرابتها للرجل كأم أو أخت أو زوجة أو ابنة ؛ وأنها لذلك جديرة بتملك الممتلكات والقيام بنفسها على مصالحها الخاصة ، وأن تكون لها الكلمة الأخيرة فى الزواج ! لقد حرم جميع ألعاب الميسر وأصناف الخمور ، لأنهما كما يقول القرآن الكريم : « فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » وفوق كل ما تقدم ، فإنه قاوم ما جرى عليه العرف من استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، فمنع الربح من الديون الربوية مهما كان سعر الفائدة ، وقاوم الامتيازات والاحتكارات الشخصية ، والمغامرة بحاجات الناس الضرورية — وهو ما ندعوه اليوم بالمضاربة — ومنع الحكم بالخطأ أو الصواب من وجهة النظر المتأثرة بعاطفة الجماعة القبلية — وهى فى التعبير الحديث : القومية — بل لقد استبعد كل ولاء للشعور القبلى والاعتبارات العشائرية لأن من أصوله أن العاطفة الوحيدة التى يمكن قبولها شرعاً كأساس لعاطفة الودّ نحو الجماعة ليس اتفاق انتساب المرء إلى أصلها المشترك ، ولكنه مدى قبوله الوجدانىّ الحر للنظرة العامة إلى الحياة والمقياس العام للقيم العليا .

ونتيجة لذلك أصر على تعديل شامل تقريباً لجميع الأوضاع الاجتماعية التى كانت تعتبر حتى ذلك الحين لا تقبل التبديل وهكذا ، كما يقال اليوم : « أُدخل الدين فى السياسة » وقد كانت حقاً بدعة ثورية فى ذلك الزمان .

لقد كان يرى حكام مكة الوثنيون — كما هو حال أكثر الناس دائماً — أن الأوضاع الاجتماعية واتجاه الفكر والعادات السائدة التى نشأوا فيها هى خير ما يمكن تصوره ؛ ولذلك كان طبيعياً تبرمهم من محاولة رسول الله لإدخال الدين فى السياسة — أى جعل تقوى الله نقطة الابتداء فى التغيّر الاجتماعى — واعتبروها خروجاً على قواعد الأخلاق العامة ومثاراً للفتنة ومخالفة لآداب اللياقة . ولما أصبح واضحاً أن رسول الله عرف كيف يوجِّه الناس إلى العمل ولم يكن مجرد رجل خيالى ، لجأ حماة النظام القائم إلى المقاومة الوحشية فى اضطهاده هو وأتباعه .

لا بد لكل نبي أن يبتلى بتحدى النظام القائم فى زمانه بطريقة ما . وقد اضطهد جميع الأنبياء تقريباً واستهزئ بهم فى زمانهم ومن بنى قومهم ، ولكن العجب فى أن خاتم الأنبياء محمداً (صلى الله عليه وسلم) يستهزأ به فى الغرب حتى يومنا هذا ؟ !

* * *

عند الفراغ من صلاة المغرب أصبح الشيخ مركزاً لدائرة من المستمعين المتلهفين من البدو النجديين ومن الحضر ، الراغبين فى اكتساب الحكمة من علمه . أما الشيخ نفسه فهو دائماً مشوق لسماع كل ما يستطيع أن يدلى به الناس من أخبار تجارتهم وأسفارهم فى البلاد النائية . والأسفار البعيدة ليست أمراً شاذاً بين النجديين فهم يدعون أنفسهم أهل الشداد (أحلاس الجمال) وحلس الجمل لكثير منهم فى الحقيقة آلف له من فراشه فى البيت . وقد كان من هؤلاء ذلك البدوى الشاب من « حرب » الذى أخذ يسرد للشيخ ما حصل له فى رحلته الأخيرة إلى العراق حيث رأى لأول مرة الإفرنج — أى الأوروبيين — (الذين يدينون بهذه التسمية إلى الفرنجة الذين احتكوا بالعرب أثناء الحروب الصليبية) ثم قال الشاب البدوى :

« أخبرنى أيها الشيخ : لِمَ يلبس الإفرنج دائماً قبعات تظل عيونهم ؟ كيف يتسنى لهم أن يروا السماء ؟ »

فأجابه الشيخ وفى عينيه لمحة إلىّ :

« إن ذلك هو ما لا يريدون أن يروه ، ربما يخشون أن يذكرهم بالله مرأى السماء ، وهم لا يريدون أن يذكروا الله سائر أيامهم . . . »

وضحكنا جميعاً ، غير أن البدوى الشاب كان تواقاً للمعرفة فى استطلاعه فأضاف « فلم إذن يكرمهم الله ويعدهم بالثروة التى يمنعها عن المؤمنين ؟ » .

فأجاب الشيخ « آه . إن ذلك أمر بسيط يا بنى ، إنهم يعبدون الذهب ، فإلـهم لذلك فى جيوبهم ، . . . ولـكن صـديقى هذا – ووضع راحته على ركبتى – يعرف عن الإفرنج أكثر مما أعرف لأنه قادم من بينهم ، فقد هداه الله سبحانه وتعالى من الظلمات إلى نور الإسلام » .

وسأل البدوى الشاب فى حماس « أكذلك هو يا أخى ؟ أحق أنك نفسك كنت إفرنجياً ؟ » ولما أومأت بالإيجاب همس « الحمد لله ، الحمد لله الذى يهدى من يشاء . قل لى يا أخى لم يغفل الإفرنج عن الله إلى هذا الحد ؟ »

قلت : « تلك قصة طويلة ، ولا يمكن إيضاحها فى كلمات قليلة ، وكل ما أستطيع أن أقوله الآن هو أن دنيا الإفرنج قد أصبحت دنيا (الدجّال) : ألم تسمع من قبل بما أخبر به نبينا الـكريم من أن أكثر الناس فى الأزمنة المتأخرة سيتبعون (الدجال) يحسبون أنه هو الله ؟ »

ولما رأيت فى عينيه سؤالاً بادياً ولمحت استحساناً من الشيخ بن بليهد ، رويت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم عن ظهور الأعور (الدجال) الذى تـكون إحدى عينيه عمياء ، إلا أنه مزود بقوى هائلة يمنحه الله إياها ، فيسمع بأذنيه مايقال فى أقصى زوايا الأرض ، ويرى بعينه الوحيدة ما يحدث فى الأبعاد التى لا تحد ، ويطير حول الأرض فى أيام ، ويُظهر كنوز الذهب والفضة فجأة من باطن الأرض ، وينزل المطر وينمى النبات بأمره ، ويستطيع أن يقتل ويعيد القتيل إلى الحياة ؛ حتى يوقن كل من ضعف إيمانه بأنه هو الله نفسه ويخرون فى عبادته ساجدين . أما المؤمنون الصادقون فيعلمون أنما هو فتنة لاختبار إيمان الناس إذ يرون مكتوباً بين عينيه بحروف من نار « ك ف ر » . . .

وبينما كان صديق البدوى يصغى إلىّ وعيناه مفتوحتان على اتساعهما وهو يقول : « أعوذ بالله » ، التفتُّ إلى ابن بليهد أقول : « أليس هذا الحديث أيها الشيخ وصفاً ينطبق على الحضارة الآلية العصرية ؟ إنها عوراء لا ترى بغير عين واحدة ، أى أنها

ترى جانباً واحداً من الحياة وحسب — التقدم المادى — ولا تفقه جانبها الروحى .

فبفضل عجائبها الميكانيكية يستطيع الإنسان أن يرى ويسمع أبعد بكثير من قدرته الطبيعية ، ويقطع مسافات شاسعة بسرعة لا تدرك . إن تقدم هذه الحضارة العلمى يسقط من السماء المطر وينبت الزرع ويخرج كنوزاً لم يكن يُظن وجودها فى باطن الأرض . وحروب هذه الحضارة وأهوالها العلمية تستأصل الحياة ، وطبها وعقاقيرها تسترجع الحياة لمن بدا كأنما قضى عليه بالموت . هذا التقدم المادى للحضارة أصبح من القوة والخداع والدجل بحيث يخيل لضعاف الإيمان أنها فى حد ذاتها إله ، ولكن أولئك الذين يستقيمون على أمر خالقهم ويذكرونه دائماً يتضح لهم بجلاء أن عبادة (الدجال) معناها الكفر بالله . . .

وهتف ابن بليهد وهو يضرب بكفه على ركبتى : « أنت محق يا محمد ، أنت مُحق ! إنه لم يسبق لى تأمل خبر (الدجال) على ضوء ما ذكرت ، إنك على حق ، فإن كثيراً وكثيراً من الناس بدلاً من اليقين بأن هذا التقدم والرقى فى العلوم من نعم الله عليهم أخذوا يظنون أن هذه العلوم فى حد ذاتها غاية من حقها أن تُعْبَد . »

وساد صمت طويل ، ثم تكلم الشيخ ثانية ليسأل : « هل كان هذا الإلهام هو ما هداك إلى اعتناق الإسلام يا بنى ؟ »

قلت : « لا بد أنه كان كذلك إلى حد ، وعلى أى حال ، فإنه لم يكن سوى الخطوة الأخيرة » .

وعاد الشيخ يسأل : « الخطوة الأخيرة ؟ . . . نعم : لقد أخبرتنى مرة بقصة مسيرك إلى الإسلام — ولكن هلَّا أخبرتنى كيف ومتى بالتحديد كان أول ما ارتسم الإسلام أمامك هدفاً ترومه ؟ »

—« متى ؟ . . دعنى أفكر . . إننى أظن أن ذلك كان فى يوم من أيام الشتاء فى أفغانستان عند ما سقطت إحدى نعال حصانى فالتمست حداداً فى قرية بعيدة عن الطريق ، وهناك قال لى رجل :

« ولكنك مسلم غير أنك لاتدرى ذلك من نفسك . . . »

« لقد كان ذلك قبل ثمانية أشهر من اعتناق الإسلام . . . وكنت حينئذ فى طريق إلى كابل . . »

إمـام . . .

للأستاذ السيد عمر بهاء الدين الأميرى

[يعرف قراء العربية خماسيات « عمر » ، وتذكر أسرة « المسلمون » ما نشرناه مما ظفرنا به فى زحمة مشاغله الكثيرة ... ولكن هذه المشاغل أتاحت له أخيراً أن يخلو إلى شعره ونفسه ، لجمع الجميل القديم من شعره ، وزاده جديداً مليئاً من نفسه . ولسنا نشك فى أن هذه الخلوة التى أتيحت له بعد رحلة مجهدة فى الكون والأحداث ، وفى عمر لا يزال نضراً زكياً... قد ساقت إلى الأدب هدية من لون فريد : فيه طرافة وسمو نفس ، وتحليق فى آفاق رحبة تتردد بينها روح عمر !

وهذه القطعة التى ننشرها اليوم ، هى طليعة مما خص به عمر أسرة « المسلمون » من ديوانه : « رجال .. وأشباه » ونحن إذ نشكره لما خصنا به ، نرقب فى لهفة طبع ما أعده من دواوين ...]

« التحرير »

* * *

سمعت عنه كثيراً ... ورأيت له ... فى مرايا قلوب محبِّيه ... صوراً لامعة رائعة .

فتراءى لعقلى ... عملاق هدىً ... ورأيٍ ... وحكمة

وتخيلته أمام عينيّ ... عملاقاً فى جسمه أيضاً ... جباراً فى قسماته وسماته

وأما محبوه ... فقد حاولوا تصويره لى ... كأنه مَلَك كريم :

أَنتَ لو أَبصَرْتَ ، فِي غَوْرِ هَمٍّ ، بَسْمَتَهْ

أو لَمَسْتَ عَقْلَهُ وَهْوَ يُهْدِي حِكْمَتَهْ

أو سَمِعْتَ جَرْسَهُ وَهْوَ يَدْعُو دَعْوَتَهْ

أَو رأَيْتَ خِلْسَةً فى صَلاةٍ وَقْفَتَهْ

مُشْفِقاً مُستَبْشِرًا لَمْ يُغَالِبْ عَبْرَتَهْ
أو تَأَمَّلتَ ، عَلَى أَهْلِ خَطْبٍ ، عطفته
مِنْ كريمٍ عَاثِرٍ جَدَّ يَمْحُو عَثْرَتَهْ
وَمُصَـــابٍ بأذىً رَاحَ يأسُو كُرْبَتَهْ
لَمَشِقْتَ رُوحَـــهُ صَاغَ مِنها رَحْمَتَهْ
ثُمَّ لَوْ شِمْتَ ، إذا جَدَّ جِدٌّ ، عَزْمَتَهْ
وإذا الداعِى دَعا لِجهادٍ ، هِمَّتَـــهْ
وَعلى الباغِى عَلَى أَىِّ حَقٍّ ، غضبته
قُلْتَ هـذا قَسْوَرٌ هَاجَ يُزجى ضَرْبَتَهْ
وَهوَ فِى الواقِعِ شَهْمٌ ثَارَ يَحْمِى أُمَّتَهْ
صيحَةُ الأجدادِ فى الاحـــفَادِ حَاكَتْ صَيحَتَهْ
وأنينُ المجدِ فِى الأَصْـــفَادِ أَوْرَى ثَوْرَتَهْ
إِنَّهُ صُورَةُ شَعْبٍ هَبَّ يَغْذُو وَثْبَتَهْ
إِنَّهُ جيلٌ مِنَ الإســـلامِ يَبْنِى نَهضَتَهْ
أَنْتَ لو أَبْصَرتَهُ لَقَـدَرْتَ قُدْرَتَهْ
بَشَرٌ مِنْ مَلَكٍ قَدْ تَلَقَّى فِطرَتَهْ

* * *

سعيت إليه . . . أطوى البحار والقفار . . . مشوقاً إلى تعرف حقيقته .

ولما رأيته بين صحبه . . . أول ما رأيته . . . ما ظننت أنه هو !

ثم قَدِمتُ إليه ، فتلقانى فى بشاشةٍ . . . لا تـكلّف فيها .

ورحّب بى . . . مُنساقاً مع فطرةٍ رحبـــة .

* * *

لم أجد له فى مشاهدتى ... صورته فى مُخيلتى
كان أقرب إلى القصر ... منه إلى الطول
وأدنى إلى الوداعة ... منه إلى الجبروت
فى صراحته إباء ... وفى جرأته إغضاء
لا يكاد يطالعُ الناظر إليه ... من الحزم الذى سمعه عنه ،
إلا تقطيبةٌ بين الحاجبين ... تصغُر منها عينٌ ... وتكبُر عين ...
كلما تحدث فى أمر هام .
وهو بَعْدَ ذلك ... تتلقاه المشاهدة الأولى ... فى مستوى الرجل العادى
هنداماً وقسمات ... ومظاهر حياة .

***

زُرته فى بيته ... فوجدته زاهداً بسيطا .
وآكلته فى مائدته ... فوجدته فقيراً كريما .
وصحبته فى أسفار ... فلم أر أكثر منه أنساً وإيناساً ... فى مواطن الراحة
ولا أكثر منه فناءً فى العمل ... وقت العمل .
وَلَزِمْتُ حياته أياماً ... فوجدتها دأباً مستمراً ... وجهداً مرهقاً ؛
كلما اشتدت عليه ... زادت بشاشةُ روحه .
فبدا أشدّ انهماكاً فى السعى ... وأكثرَ إمماناً فى التسليم ... وأقوى تألقاً بالاستبشار .

***

ما رأيته مرة ... إلا زدت إكباراً له ... وتعلقاً به ...
وإشفاقاً عليه .. وأملاً فيه ...
بيد أننى ... كلما توثقت صلتنا ،
تبدَّىٰ لنفسى ... على غير ما صوره لِىَ محبوه :
لقد خالوه ... أشبه بالملائكة ؛
وأما أنا .. فقد وجدته إنساناً ... بكل ما فى الإنسان ... من معانى
الخلافة فى الأرض .
إنه إمام ... ملء الأرواح .. والبصائر .

معالم رئيسية فى سياسة اقتصادية إسلامية
لمواجهة المشكلات الاقتصادية الحاضرة

للدكتور زكى محمود شبانه[1]

مدرس الاقتصاد الزراعى بجامعة الإسكندرية

تمهيد

تهدف السياسة الاقتصادية إلى تدبير وتنظيم موارد الثروة الإنسانية والطبيعية غير الكافية فى أى مجتمع إنسانى لغرض إشباع الرغبات الإنسانية بالسلع والخدمات الاقتصادية المختلفة عن طريق هيمنة الهيئة الحاكمة بتشريعها وتقنينها ؛ ويهدف علم الاقتصاد التطبيقى فى صوره المختلفة زراعيا أو صناعيا أو تجارياً إلى دراسة الموارد الإنسانية والطبيعية وربطها ببعضها فى صورٍ استثمارية مختلفة لإشباع رغبات هذا المجتمع فى شكل سياسات اقتصادية متنوعة .

ولقد وضع الإسلام نظاما اقتصاديا خاصا فى عصرٍ تاريخى خاص ، وميزة هذا النظام أنه يحمل بين طياته مرونة كافية تجعله يصلح للتطبيق كنظام أمثل لبنيان اقتصادى سليم متكامل متكافل ، وهو فى الحقيقة لم يضع غير خطوط رئيسية ومبادئ مجملة ونظريات عامة ، وترك مهمة التطبيق والتفصيل إلى العلماء فى أى عصر .

فالإسلام لم يرسم طرائق الإنتاج أو وسائله أو صور حركته أو توزيعه ، ولم يضع للاستهلاك قواعده ولا مقنناته ، ولم يفصل طرق التبادل ولا وسائل التمويل ولا غير ذلك من نواحى النشاط الاقتصادى المعقد ، بل ترك التنظيم والتدبير ورسم الطرق ووضع الأساليب والوسائل الإنتاجية والاستهلاكية والتسويقية والتمويلية تتطور بتطور الزمن وفقا لضرورات التطور الإنسانى مع تقدم المدنية والحضارة والثقافة . ولقد بذل بعض فقهاء المسلمين السابقين — رضى الله عنهم — جهدا مشكورا فى النواحى الاقتصادية المختلفة ، بل وفى التطبيق والتفريع والتفصيل ؛ ولكن وقف

---

(١) دكتوراه فى الاقتصاد الزراعى من جامعة ويسكونسن ، وماجستير فى العلوم من جامعة ويسكونسن ، وبكالوريوس فى العلوم الزراعية من جامعة القاهرة .

هذا المجهود الجبار منذ سبعمائة عام ، ولم تتحرك الجهود العلمية فى الاقتصاد الإسلامى من كمونها إلا فى القرن العشرين حيث ظهر جمال الدين الأفغانى وتلته نهضة الإخوان المسلمين فى سنة ١٩٢٧ ، ولكن لا يزال البحث فى هذا الميدان وئيداً فى وقت تتصارع فيه قوى العالم بأجمعها صراعا اقتصاديا ، فكل معسكر من المعسكرات يقدم للعالم مذهبه الاقتصادى معلنا عنه بكافة الأساليب والطرق الحديثة للإعلان . فهذه الاشتراكية بفروعها المختلفة ، وهذه الرأسمالية الديمقراطية ، كل يقدم إلى العالم كل يوم وسائله وأساليبه ونظرياته ومبادئه ؛ ولكن الميدان لا يزال قفرا من علماء الاقتصاد الإسلامى ، فلم يدل عالم درس الاقتصاد الإسلامى دراسة علمية صحيحة بدلوه ، اللهم إلا بعض مقالات فى الصحف وكتيبات ظهرت أخيرا مما لا يمكن أن نتقدم به فى هذا الصراع العالمى العنيف ، فهم يريدون حقائق وإحصائيات وبحوثا ودراسات مؤسسة على أحدث طرق البحث العلمى لتظهر للناس النظريات الاقتصادية الإسلامية وتطبيق هذه النظريات فى صور سياسات اقتصادية كاملة تحمل بين طياتها تكافلاً وتكاملاً تامين للمبادئ الاقتصادية والنفسية والاجتماعية والسياسية والقانونية . والدراسات الاقتصادية الإسلامية القديمة رغم قدمها فإنها تستحق التقدير وتستحق الدراسة من الاقتصاديين ، بل لا أكون مبالغاً إذا قلت إنها يمكن أن تكون لبنة يبنى عليها نظام اقتصادى متكامل ، يحقق الرفاهية والهناء الاجتماعى والاقتصادى الذى يبحث عنه الاقتصاديون فى مختلف المذاهب الاقتصادية لإسعاد البشرية ورفع مستوى نعيمها .

فعلماء المسلمين السابقون منذ ألف عام أو أكثر لم يألوا جهداً فى دراساتهم المختلفة سواء كانت تتصل بالعقيدة أو بالعبادات أو بالاقتصاد أو بالاجتماع أو بعلم النفس أو بالفلسفة أو بالرياضيات أو بشئون الحكم فى اتباع أحدث الأساليب العلمية من حيث إثبات الحقائق وفرض الفروض ووضع النظريات التخمينية والنظريات الكاملة والنواميس وإثبات المراجع والأصول والتراجم ، وربط كل هذه الحقائق ربطاً منطقيا رياضياً فلسفيا عميقاً . فمن الناحية النظرية الاقتصادية يمكننا القول أن البحث الاقتصادى الإسلامى الأول بُنى على ما قامت عليه أحدث البحوث النظرية الاقتصادية

المصرية . فمثلا كان الإنسان الاقتصادى هو الأساس الذى بنيت عليه النظريات الاقتصادية الحديثة وهذا الإنسان الاقتصادى يُعرف بأنه إنسان لا يعمل ولا يبذل أى مجهود اقتصادى إلا بباعث الأثرة ، وحب الذات ودافع المنفعة . وهذا هو نفس الإنسان الذى فرضته النظريات الاقتصادية الإسلامية ؛ فالحق تبارك وتعالى يصفه فى القرآن الكريم « وإنه لِحُبِّ الخير لَشَدِيد[1] » . ثم يصفه سبحانه وتعالى فى موضع آخر بقوله : « وأُحْضِرتِ الأنفس الشح[2] » ثم يفسر ذلك فى مكان ثالث بقوله : « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قَتُورًا[3] » .

أما عن المكتبة الاقتصادية الإسلامية القديمة فلا يمكن أن ننكر أنها سبقت المكتبة الاقتصادية الحديثة بألف عام ، حيث ظهر التخصص العلمى الصحيح فى المؤلفات الاقتصادية الإسلامية واضحاً منذ القرن الثامن الميلادى ؛ فهناك كتاب الخراج ليحيى ابن آدم القرشى ظهر فى ٢٠٣ هجرية (أى حوالى ٧٨٥ ميلادية) وكتاب الاكتساب فى الرزق المستطاب للإمام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة ظهر فى ٢٣٤ هجرية (أى حوالى ٨١٥ ميلادية) ثم كتاب الخراج لأحمد بن حنبل ، ثم تلا ذلك مقدمة ابن خلدون التى ظهرت فيما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادى والتى تعتبر صورة مماثلة لكتاب « ثروة الأمم » إنجيل الاقتصاد الحديث الذى كتبه أبو الاقتصاديين آدم سمث فى ١٧٧٦ ميلادية ، والذى يعتبر أول كتاب اقتصادى متخصص جامع فى الدراسات الاقتصادية الحديثة . ومقدمة ابن خلدون لا تختلف كثيرا عن هذا الكتاب إلا اختلافا بيئيا ، ورغم أن ابن خلدون قد سبق آدم سمث بخمسة قرون من الزمان فقد بحث فى مقدمته الحضارة ونشوءها وإنتاج الثورة وصور النشاط الاقتصادى ونظريات القيمة والتوزيع والسكان . ثم تلا ابن خلدون فى القرن الرابع عشر الميلادى المقريزى وكان أكثر تخصصا من زميله ابن خلدن فأخرج للناس كتابا فى النقود وكتابا آخر فى دورات الأعمال الاقتصادية سماه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » بحث فيه أسباب الأزمات الاقتصادية واقترح علاجها ، وهذه الدراسات لم تظهر

(١) سورة العاديات . الآية : ٨ . (٢) سورة النساء . الآية : ١٢٨ .
(٣) سورة الإسراء . الآية : ١٠٠ .

فى الاقتصاد الحديث إلا فى القرن التاسع عشر ، وأيضاً ظهر فى هذا الوقت كتاب « الفلاكة والمفلوكين » أى الفقر والفقراء لأحمد بن على الدلجى ، وهو نوع جديد من الدراسة الاقتصادية لم تظهر دراساته وأبحاثه إلا فى أوائل القرن العشرين .

يظهر مما سبق أن الدراسات الاقتصادية الإسلامية لا يمكن إنكار أنها تستحق الدراسة والبحث ، بل وتستحق الاتجاه بها إلى إيجاد دستور اقتصادى إسلامى سليم يقدم للمجتمع الإسلامى العلاج لمشكلاته الاقتصادية الحديثة ، أى لبناء بنيان اقتصادى سليم متكافل تقوده سياسة اقتصادية إسلامية متكافلة ، تهدف نحو إسعاد وهناء اجتماعى كامل . وليس من السهل دراسة جميع نواحى هذه السياسة الاقتصادية الواسعة كلها ، ولذلك سوف نستعرض فى المقالات التالية بعض النواحى الرئيسية فقط ، مقارنين بعض وجهات النظر الاقتصادية الإسلامية بنظيرتها فى الاقتصاد الحديث .

« يتبع »



مراجع البحث

(ا) مراجع باللغة العربية

١ — « القرآن الكريم » .

٢ — « التجديد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح » (الجزء الأول) .
أبو العباس زين الدين أحمد الشهير بالحسين بن المبارك — القاهرة — مطبعة محمد على صبيح ١٩٣١ .

٣ — « معضلات الاقتصاد وحلها فى الإسلام » (معرب عن الأوردية)
أبو الأعلى المودودى — المطبعة السلفية ١٩٥٢ .

٤ — « اشتراكية الإسلام » .
أحمد محمد رضوان — القاهرة — مطبعة دار الكتاب العربى — ١٩٥٠ .

٥ — « المسلمون » مجلة إسلامية تصدر كل شهر عربى
سعيد رمضان — القاهرة — ١٩٥٢ — ١٩٥٣ .

٦ — « العدالة الاجتماعية فى الإســـلام »
سيد قطب — القاهرة — مكتبة مصر ومطبعتها — ١٩٥٢ .
٧ — « مقدمة ابن خلدون »
عبدالرحمن بن خلدون المغربى — القاهرة — المطبعةوالمكتبةالسعيدية — ١٩٣٠ .
٨ — « كتاب الفقه على المذاهب الأربعة » (الجزء الثالث) قسم المعاملات
عبد الرحمن الجريرى — القاهرة — شركة فن الطباعة — ١٩٥٢ .
٩ — « المال والحكم فى الإسلام »
عبد القادر عودة — القاهرة — مطبعة دار الكتاب العربى — ١٩٥١ .
١٠ — « مختصر أحكام المعاملات الشرعية »
على الخفيف — القاهرة — مطبعة السنة المحمدية — ١٩٥٢ .
١١ — « الإسلام على مفترق الطرق » (ترجمة الدكتور عمر فروخ)
ليوبولدفايس — بيروت — دار العلم للملايين — ١٩٥١ .
١٢ — « كتاب الخراج » (صححه أحمد محمد شاكر)
يحيى بن آدم القرشى — القاهرة — المطبعة السلفية ومكتبتها — ١٣٤٧ هجرية.

(ب) مراجع باللغة الإنجليزية

1 — Haberler Gottried, *Prosperity and Depression ;* Lake Success, N.Y., United Nations, 1946,
2 — Harris Seymour, E. (Ed.), *The New Economics ;* New York, Alfred A. Knope, 1947.
3 — Keynes, J.M., General Theory of Employment, *Interest and Money ;* New York, Harcourt, Brace and Company, 1636.
4 — Mitchell, Wesley., *Lecture Notes on Typers of Economic Theory ;* New York, Augustus M. Kelley, 1949.
5 — Ricards, David, *Principles of Political Economy and Taxation,* Ed. by E.C. Gouner ; London, 1891.
6 — Roll Eric, *A History of Economic Though ;* New York, Prentice Hall Ine., 1947. Pp 9—28.
7 — Smith Adam, *An Inquiry Into The Nature and Causes of Wealth of Nations ;* New York, The Modern Library, 1937,

مسجد وشنطن



فى أجمل أحياء وشنطن . .
وبين سفارات الدول الكبرى ...
وبين أبراج الكنائس التى تملأ عاصمة أمريكا ...
شق هذا المسجد طريقه مطلا عليها جميعاً فى روعة وجلال ، وبدأ يهمس فى جو أمريكا الصاخب بدعوة الإسلام ، واتجه إليه كثيرون يشهدون جمال الذوق العربى فى العمارة ، ويستمعون إلى المحاضرات التى تلقى فيه شارحة حقائق دين الله ، رادة على الشكوك التى يبقى عليها سوء فهم الغرب للاسلام ، ويزيدها الأعداء المتربصون الذين يملكون كل وسائل النشر والإذاعة والإعلان ! !

***

قام على بناء هذا المسجد بهمة واحتساب الأستاذ الفاضل السيد كامل عبد الرحيم سفير مصر — السابق — فى أمريكا ، ويقوم على نشاطه الآن — بما يتيسر له من وسائل — الأستاذ الدكتور محمود حب الله . والله المسئول أن يتقبل منهما ويحسن جزاءهما ...

***

ولكن هذا المسجد لم يتم بعد ، وعار على المسلمين جميعاً أن يضنوا عليه بالمال اللازم لتمامه(*) ...
ويؤسفنا أن تتخلف بعض الحكومات العربية عن دفع نصيبها فى نفقاته ...

(*) عنوان المسجد Islamic Center Mass Avenue Washington D.C.



* عواطف مشكورة
* نبوءة
* حول الربا
* الدستور الإسلامى

عواطف مشكورة

« تصل إلينا كل يوم رسائل رقيقة من إخوة عزاز فى أنحاء العالم الإسلامى يطلبون فيها الاشتراك ، ويعبرون عن عاطفتهم نحو مجلتهم « المسلمون » ، وهى عاطفة نشكرها ونقدرها ، ونسأل الله أن يجعلنا أهلا لأمانتها ، ولئن قصرت بنا المشغلة عن الرد على كل منهم على حدة ، فإن لقاءنا الدائم فى كل عدد صلة متجددة ! » .

« التحرير »

وهذه رسالة من الأخ العزيز الأستاذ عادل عيد :

« وبعد ، فقد أورد الأستاذ سيد قطب فى نهاية مقاله « حاجة البشرية كلها إلينا » المنشور فى «المسلمون» بالعدد العاشر من السنة الثانية العبارة الآتية : « والبشرية كلها ستعرف يوما أن نبوءة الله حق : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ... » .

وأرى أن نسبة النبوءة إلى الله سبحانه فى غير محلها ، إذ أن الله لايتنبأ — سبحانه — ولكنه ينبىء ويخبر ويعد — ووعده الحق — وهو عالم محيط

بما كان وما سيكون ، إنما التنبؤ من فعل البشر ، وقد يخطىء تنبؤهم وقد يصيب ، ولا أشك أن أستاذنا الجليل سيد قطب لايعنى إلا هذا .

فأرجو لو أفسحتم لهذه السطور فى ندوتكم ، وشكر الله لكم .

* * *

ونحن نشكر للأخ الكريم ملاحظته ونترك للأستاذ الفاضل سيد قطب الرد عليها .

وجاءتنا هذه الرسالة من الأستاذ حسين السراج المدرس بدير الزور بسوريا :

أخى الحبيب الأستاذ سعيد رمضان .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : إن الإسلام أحوج ما يكون اليوم إلى دعاة ذوى علم وتقوى وهمة ونشاط . يبينون للناس حقيقة الإسلام وصلاحه لكل عصر ومصر ، يدفعون الحجة بالحجة ويدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى زمن كثر فيه دعاة السوء ونصراء الباطل وأعوان الغرب وعبيد المطامع والشهوات .

فكانت مجلة (المسلمون) من أكبر الدعاة وأعظمهم تأثيراً ، وكانت محببة إلى القلوب يتحين المؤمنون ورودها وتتلقفها الأيدى وتقرأ بشغف وشوق .

ولاغرابة فى ذلك مادام رئيس تحريرها أخاً صادقاً ، نذر نفسه للدعوة إلى الله يجوب الأرض بنفسه كما تجوبها مجلته ، ومادام كتّاب (المسلمون) من أبرز المصلحين الذين يجمعون بين العلم والتقوى . وما دامت مجلة (المسلمون) هى الوحيدة من نوعها وكان المفروض أن تتعدد المجلات من هذا النوع . أحسن الله جزاء العاملين وضاعف الأجر للمصلحين ، وجمع كلمة المسلمين على البر والتقوى .

أخى : كتب الأستاذ الفاضل محمد أبو زهرة عن (الربا) وسرنا ما كتب كما سر لذلك كل مسلم يهمه الاطلاع على الفقه الإسلامى ، وكان البحث مفيداً موفقاً معجباً كل الإعجاب . ولقد وددنا أن يتحدث الأستاذ الكريم عن ناحية مهمة تتعلق بالربا ويجرى فيها خلاف واسع وجدال مرير .

وإنا نرجو من أستاذنا العليم أن يتم بحثه ويتحفنا بالإجابة على السؤال الآتى :

هل يوجد فرق بين الأوراق النقدية التى أصبحت أداة التعامل (كالجنيه المصرى والدينار العراقى والورق السورى) وبين الذهب والفضة من حيث الربا ، وإذا كان ثمة خلاف فماذا تعتبر تلك الأوراق النقدية ؟ . هل يجوز اعتبارها عروض تجارة مع أنها أثمان لكل مايباع ويشترى ؟ بل إن الذهب والفضة أصبحا غير مستعملين فى التعامل ولايستعملان إلا للزينة فقط . وماهو الدليل على استعمال الأوراق النقدية كالذهب والفضة أو عكسه عروض تجارة ؟ .

هذا ما أرجو الأستاذ الكريم أن يجيب عليه ، وإنا لذلك لمنتظرون .

وختاماً أسأل الله للمجلة دوام توفيق ، وجميع من عرفت فى الدير يهدونك أجزل التحيات ويدعون لك بالتوفيق ، ودم بخير لأخيك المشتاق » .

* * *

ونحن نشكر للأخ العزيز الأستاذ حسين تحيته واهتمامه .

وقد تفضل فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة مشكوراً بالإجابة على سؤاله فيما يلى :

« حضرة الأستاذ الفاضل السيد حسين السراج

وصل إلىّ كتابك الكريم ، إذ أحالته علىّ مجلة (المسلمون) الزاهرة ، ولكنه وصل فى مزدحم من أوراق الامتحان وأعماله ؛ وأيام الامتحان فى ذاتها غلاظ شداد ، ولذلك لم أستطع قراءته وإعطاءه حقه فى إبّانه . ولما اطلعت عليه بعد أن انكشفت غُمَّة الامتحان قليلا ، وجدت موضوعه فى حاجة إلى التجلية والدراسة مادامت قد قامت شكوى حول دخول الربا فى الأوراق النقدية ؛ وإنى لأرجو أن أتصدى لذلك بالبيان فى وقت مناسب قريب .

وقبل أن يواتينى ذلك الزمان أسارع فأقرر أن الربا يدخل فى النقود الورقية ، وأن الزيادة فيها فى نظير الأجل هى ربا لاشك فى ذلك ، وذلك لسببين :

أولهما : أن هذه النقود من المثليات بلاشك ، وأنها يجرى فيها القرض ، وأنها تكون ديونا تثبت فى الذمة ؛ فيجرى فيها ما يجرى فى الديون من أحكام ، وإن ربا الجاهلية الموضوع بقول الرسول ، وبحكم القرآن هو ربا الديون — وهو ربا النسيئة المجمع على تحريمه — وإن ذلك يكون فى الديون الثابتة بالبيوع أو القروض

أو نحو ذلك ، ويكون بالزيادة فى الدين فى نظير التأجيل ، وذلك يتحقق بلا شك فى الأوراق النقدية .

وإن القرآن الكريم لما ذكر الربا وقال : « وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون » كان الحكم عاما لكل الديون ، ولم يخص ديون الذهب ، أو ديون الفضة أو غيرها من المعادن النقدية ، فكل ما تتحقق فيه المثلية التى يمكن أن تعرف بالقدر والجنس والنوع والصفة ، ويثبت فى الذمة ، فإن الربا يتحقق فيها إذا كانت الزيادة للتأجيل .

ثانيهما : أن الأوراق النقدية إذا أردنا تطبيق المعانى الفقهية أنها تمثل الفلوس ، وهى النقود التى من غير الذهب والفضة ، فالورقة ذات المائة تمثل مائة قرش ، وذات الخمسين تمثل خمسين قرشا ، وإن الفلوس بلاريب يجرى فيها الربا .

وإنى لهذه المعانى أستبعد كون النقود عروضا ؛ لأن فى معناها أن تكون مشبعة لحاجة بنفسها ، والأوراق ككل النقود لا تشبع حاجات بنفسها ، إنما هى مقاييس لمالية الأشياء من عروض وعقارات وغير ذلك من أنواع الأموال .

وإنى — قبل ختام هذه الإجابة العاجلة الموجزة — أقرر أن المثليات من العروض إن كانت ديونا يجرى فيها ربا النسيئة المحرم بالإجماع ، فمن اقترض من شخص ثلاثين إردب قمح من نوع معين وبوصف معين ، فلم يؤدها فى موعد الأداء ، أو عند طلبها ، فلا يصح له أن يزيد فى نظير التأجيل بعد الطلب ؛ لأن ذلك يكون ربا بلا شك ولاريب .

وإن هذه الإجابة ، وإن لم تكن مشبعة ، هى كلمة أكتبها لأبرئ ذمتى بدفع كل شك قبل أن أتولى الإجابة المقنعة ؛ وإنى أضرع إلى الله تعالى أن يغفر لى خطئى ، وأن يلهمنى الصواب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وهذه رسالة من السيد منذر شاكر سليم من بغداد يقول فيها :

. . وبعد : فقد اطلعت على (العدد العاشر) من السنة الثانية من مجلتكم (المسلمون) وما هى بمجلة ولكنها (مدرسة) يلتقى عليها المسلمون شرقاً وغرباً ،

وما أريد أن أكيل المديح فأنا أعلم أن طلب المدح ليس من صفاتكم فقد أسلمتم عملكم ونيتكم لله .

أقول لقد اطلعت على هذا العدد وكان موضوع (الدستور الإسلامى) للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربى قد جلب انتباهى فأخذت أقرؤه مرة ومرة حتى استخلصت بعض الملاحظات حول هذا الموضوع التى أراها جديرة بأن ألفت نظركم إليها ، ولعلى مخطئ فى بعضها أو كلها ، وعلى كل فلى من سعة صدركم ما يشجعنى على أن أبعث بها إليكم ، هذا وإنى أعلم تماماً بأن الأستاذ الدكتور لم يقصد من وراء مقالاته وكتاباته إلا منفعة الإسلام والمسلمين .

وإليكم هذه الملاحظات :

١ — ذكر الأستاذ فى مقاله ص ٩٦٥ (أن بعض أحداث طيبة تمت خلال الشهرين الأخيرين دلت على تجاوب الشعور فى كثير من البلدان الإسلامية . . . بما يكفل قدراً من التضامن والتعاون بين قواتها العسكرية) ثم ذكر أنه يرجى منها خير كثير ولكنه لا يكفى لسببين . . . .

وإنى أعتقد أن هذه المؤتمرات (الحكومية) لا يمكننا أن نجزم بأنها منبثقة من الشعور الشعبى الإسلامى وذلك لسببين :

(١) أن المجتمعين لا يمثلون الشعوب الإسلامية ولا الشعور الإسلامى بالمعنى الصحيح ، فهم صورة واضحة للحكومات التى أوفدتهم .

(٢) إن هذه الحكومات لاتتمتع بحرية واستقلال تامين وذلك مما يجعلنا نؤكد بأن للاستعمار يداً أو منفعة فى عقد مثل هذه المؤتمرات .

ثم ولو كانت القرارات المتخذة غاية فى توثيق الروابط وزيادة التعاون فإنه لافائدة لها لأن [العدل فى نفس القاضى وليس فى نص القانون] .

وعلى هذا لا يمكننا الاعتماد على هذه الحكومات ومؤتمراتها .

٢ — ذكر فى ص ٩٧١ (وفى هذه القمة تسندها كالبنيان المرصوص جميع الدول الإسلامية ولكل منها دستورها المحلى) ثم (فلتختر كل دولة الوضع الأكثر ملاءمة لبيئتها والأكثر اتساقاً مع سياقها التاريخى وتكوينها الجغرافى والأكثر تجاوباً

مع الاستعداد السياسى لشعبها من ملكية مقيدة بالشورى إلى جمهورية رياسية إلى جمهورية برلمانية . . . الخ) .

أعتقد أن الدول الإسلامية المتعددة لا وجود لها فى ظل الحكم الإسلامى الصحيح ، ولعله يعنى الدول فى أول نشوئها أى فى الطور الذى يوصلها للاتحاد التام بإزالة الحدود وغير ذلك .

ثم إنه ليست هناك دساتير متعددة — لكل دولة دستور — وأعتقد أن الأصح هو أن تختار نظاماً يتفق وطبيعة تلك البلاد لأن الدستور يحتوى على تنظيم علاقات الدولة مع الدول الأخرى . وهذا النظام لا يختلف عن النصوص والتعاليم الإسلامية .

٣ — ذكر فى ص ٩٧٢ (ولذلك أشرنا بأن تأخذ الدولة الإسلامية المؤتلفة فى الطور الأول من قيامها بالوضع الائتلافى المحدود النطاق فتحتفظ كل دولة إسلامية فى إطار هذا الائتلاف بذاتيتها واستقلالها وبسيادتها الداخلية والخارجية كاملة ولكنها تتحد معاً فى العمل المشترك . . .) و (فهى تعمل معاً فى حيز هذه الأهداف كأنها دولة واحدة وفيما عداها تسترد حريتها كاملة فى الميدان الداخلى وفى الميدان الدولى) .

صحيح إذا قصد الأستاذ فى تكوين هذا الائتلاف كخطوة أولى فى تكوين الدولة الإسلامية الموحدة . ولكننى من جهة أخرى ، أرى أن الأستاذ الدكتور يتصور أن الدولة الإسلامية ستقوم عن طريق (حكومى) وعلى يد هذه الحكومات التى يطلق عليها مجازاً (إسلامية) فى حين أن أكثر هذه الحكومات تحارب الإسلام علناً وخفية ، وتتعاون مع الاستعمار على ذلك علاوة على الكيد بعضها لبعض .

ثم يذكر أن الدولة الإسلامية المؤتلفة تعمل (كأنها دولة واحدة) .

وإنى أرى أن تعمل (دولة واحدة) ولسنا فى حاجة إلى (كأنها) .

٤ — ذكر فى ص ٩٧٢ (فلن تمانع الدول الإسلامية جميعاً — فى مستوى النضوج الذى بلغته الآن — فى أن تمهد إلى هيئة حكومية مشتركة تمثلها جميعاً — بمهمة تنسيق سياستها الاقتصادية والدفاعية بما يحقق التعاون الوثيق والتكافل الناجز بينها ويفىء خيره عليها — جميعاً — مع احتفاظ كل منها باستقلالها الكامل إلا فيما يقتضيه العمل على إنجاز هذين المطلبين) .

ولا أدرى أى دول يعنى الأستاذ والحال كما نرى ؟ !

٥ — ذكر فى ص ٩٧٣ شكل هذه الهيئة الحكومية .

وإنى لا أوافقه على ذلك لسببين .

(١) أنه ما دامت هذه الدول غير قابلة لتكوين مثل هذه الهيئة فلا داعى إذن إليها .

(٢) أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتخب طول العمر ما لم يخطئ ويحيد عن جادة الصواب ويصر على خطئه ، فلا داعى لانتخابه كل سنة .

٦ — ذكر فى ص ٩٧٣ (ولا تلجأ إلى الخارج وتستجديه فى أى مورد — مادى أو بشرى — إلا إذا انعدم هذا المورد عند الأعضاء) .

وأعتقد أنه لاحاجة إلى (الاستجداء) ، فإن أعوزت البلاد الإسلامية إحدى الموارد دفعت ثمنه فهو (شراء) وليس (استجداء) .

هذا وإنى لست مصراً على آرائى إن وضح خطؤها . والله أكبر ولله الحمد .

* * *

ونحن نقدر عاطفة الأخ السيد منذر ونشكره على اهتمامه ، ونترك للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربى الرد على رسالته .

« من قرت عينه بالله قرت عيون الناس بالنظر إليه » .

يحيى بن معاذ

إن لبدنك عليك حقاً

بإشراف الأميرالاى الدكتور أحمد الناقه

س ١ : هل من سبيل للوقاية من الإنفلونزا ؟

ج ١ : ما زال الطعم الواقى من الإنفلونزا محل تجربة .

***

س ٢ : هل يمكن توقى الحصبة ؟

ج ٢ : لا ، ولكن يمكن منع المضاعفات بالبنسلين .

***

س ٣ : تكبر الرقبة كثيراً وتتدلى ، فما السبب وما العلاج ؟

ج ٣ : قد يكون ذلك من شحم البدانة أو تضخم الغدة الدرقية ، ويحسن استشارة الطبيب فى طرق العلاج .

وقد تكبر الرقبة قليلا عند البلوغ والحيض والحمل من أثر تضخم صغير بالغدة الدرقية ، وهذا يزول من تلقاء نفسه ، فلا داعى للعلاج .

***

س ٤ : كثير العيال كيف يتقى الذرية ؟

ج ٤ : ١ — بلباس مطاط رقيق للإحليل أو سميك لعنق الرحم أو هما معاً .

٢ — الإنزال خارج المهبل .

٣ — اللبوس أو الغسول .

وهذه قد تعين على قلة النسل ، ولكنها لا تضمن منعه إطلاقاً .

***

س ٥ : لا يخلِّف لأن منيه خال من الحيوانات المنوية فما العلاج ؟

ج ٥ : إما أن مجرى المنى مسدود ، وهنا قد تفيد الجراحة ، وإما أن الخصيتين لا تفرزان الحيوانات ، وهنا قد تفيد الهرمونات (خلاصة الغدد التناسلية) .

س ٦ : طال المرض وزاد الألم ويئس المريض وأهله من الشفاء ، فهل يستجيب المطبب لرغبتهم ليريحه من الحياة ؟

ج ٦ : لا ، على الطبيب أن يزيل الألم ، لا أن يزهق الأرواح .

وقد يخطىء الأطباء . . « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

＊＊＊

س ٧ : ألم بأسفل أيمن البطن هل هو زائدة دودية ؟

ج ٧ : ربما . وقد يكون التهاباً رئويا ، روماتزما ، غدة درقية ، التهاب أعصاب جهاز بولى تناسلى ، أمراض الحوض ، الفصامات وغيرها .

＊＊＊

س ٨ : هل من الحكمة أن يعرف المريض خطورة حالته ودنوّ أجله ؟

ج ٨ : ليس من الرحمة أن يعلم المريض ذلك ، ولا بأس أن يسر الطبيب بذلك إلى بعض خاصة أهله .

＊＊＊

س ٩ : مغص شديد بالجانب الأيمن وبول دموى مزمن .

ج ٩ : قد يكون من بلهارسيا فى أهل الريف ويعالج بالحقن ، وقد يكون من حصى بالكلية اليمنى فى أهل الريف والحضر ، والحصى الصغير يعالج بمدرات البول والحصى الكبير بالجراحة .

＊＊＊

س ١٠ : سيدة تنزعج من أقل الأصوات : الأطفال والإذاعة والشارع ، ويوقظها من النوم حتى الأصوات الخافتة فما السبب وما العلاج ؟

ج ١٠ : مرض الأذن قد يسبب حساسية شديدة فى حالات قليلة ، ولكن أكثر الحالات اضطراب نفسى قد تنفعه المنومات أو المهدئات أو غطاء الأذن عند النوم .

＊＊＊

س ١١ : مات وحيده فضمر جسمه وكثر بوله واتضح أن الحزن أعقب داء السكر

ج ١١ : الحزن الشديد لايسبب داء السكر ولكنه يظهر السكر الكامن . ويزيد السكر الظاهر من أثر الصدمة العصبية . وقد يظهر السكر بعد الحوادث نتيجة الصدمة النفسية ، أو إصابة المخ والبنكرياس إصابة مباشرة .

باب الكتب : نقد وتعريف

١ — « الفتح الربانى » لترتيب مسند الإمام ابن حنبل ، ومعه « بلوغ الأمانى » تعليق عليه ، للأستاذ الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا

٢ — المجاهدون ، للأستـــاذ محمد فهمى الطهاوى ، المطبعة السلفية عام ١٩٥٣ ، ١٥٩ ص م .

١ — الفتح الربانى

من حسن جَد الفقه الإسلامى أن أخذت المطالبة تشتد منذ سنوات بضرورة تجديد هذا القانون الإلهى ، وذلك بالرجوع إلى مصدريه العظيمين المقدسين : كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة ، وهذا بعد أن ران الجمود والتقليد على العقول والقلوب قروناً طويلة ، مما جعل الشريعة الإسلامية كما نعرفها من كتب القدامى تتأخر عن السير مع الحياة المتجددة دائما .

ونعتقد أنه ليس من سبيل إلى هذا الذى نطالب به إلا بإحياء كتب السنة ونشرها نشراً علمياً محققا ، حتى يكون ميسوراً الرجوع إليها والإفادة منها ، ثم بالعكوف من الفقهاء الأكفياء على فهم آيات وأحاديث الأحكام وتعمقها ، لتكون هى الضوء الذى ينير لنا طريق هذه الحياة فى جميع نواحيها .

والإمام أحمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١ هـ ، هو كما نعرف أحد أصحاب المذاهب الأربعة فى الفقه ، وكان فوق هذا إماماً فى الحديث وضروبه والسنة ودقائقها كما يذكر ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب[١] . لاجرم إذن ، أن يكون مسنده فى الحديث من أجلِّ كتب السنة وأعلاها قيمة وخطرا .

إلاّ أن طريقة الإمام فى ترتيب هذا المرجع العظيم لاتجعل الإفادة منه فى ناحية الفقه ميسورة إلا للنادر جداً من العلماء الصبورين على البحث وعنائه ؛ فقد رتبه —

---

(١) جـ ٢ : ٩٦ ؛ وراجع أيضاً تذكرة الحفاظ ، جـ ٢ : ١٧

كما يدل عليه اسمه — على مسانيد الصحابة مبتدئاً بأبى بكر رضوان الله عليه ، بأن يورد كل الأحاديث التى يرويها كل من الصحابة الذين أخذ عنهم دون نظر إلى موضوعاتها ، ولهذا يكون عسيراً كل العسر أن يهتدى الناظر فيه إلى حديث يريده بعينه ، كما لايستطيع أن يجمع بين الأحاديث الشتى التى وردت فى باب أو موضوع واحد .

كان لابد إذن أن يتعاون بعض العلماء المحققين لترتيب هذا المسند الضخم ترتيباً يجعل الإفادة منه ميسورة محققة ، وكانوا لو تمَّ لهم هذا العمل حريِّين بالشكر من الله والناس . على أن هذه الأمنية لم تتحقق ، حتى انتدب لها نفسه رجل واحد استعان بالله فأعانه ، واستهداه فهداه . وقد أسعفه على مانصب له نفسه حب لله وكتابه ورسوله وسنته ، ومعرفة بالفقه وأحكامه ، وبصيرة نيِّرة ، وإرادة لاتنثنى أو تبلغ ماتريد ، وهو الشيخ الجليل أحمد عبد الرحمن البنا .

ولشيخنا الكبير ولوع منذ الطفولة بكتب السنة ، فقرأ الكتب الستة وغيرها من الأصول المعتبرة عند المحدثين ، ثم انتهى بأن شغل نفسه الكبيرة بالمسند لابن حنبل منذ عام ١٣٤٠ هـ[1] ، فبان له أنه لابد من ترتيبه على كتب وأبواب وفصول ، يجعل فى كل منها ما يدور من الأحاديث حول موضوع واحد سواء فى الفقه أو غير الفقه من نواحى الشريعة الإسلامية ؛ فأقبل على العمل ، وقد أعدَّ له عُدَّته بعزم لايفُل وهمة لاتعرف الملل ، واقفا عليه كل مافى طوقه من وقت وجهد ومال ، حتى انتهى من تبييضه أخيراً عام ١٣٥١ هـ[2] .

وقد كان حريا به وقد أنجز هذا المهم الكبير على خير وجه ، وقدم به للراغبين فى الإفادة من السنة أجل فائدة ، أن يرضى ويغتبط بما وفقه الله إليه . ولكن نفسه الكبيرة التى تتطلع إلى الكمال أبت عليه إلا أن يضيف إلى هذا العمل المجيد عملا آخر لايقل عنه مجادة وجدوى ، فقام بالتعليق على المسند بعد أن رتبه كما أراد ، فكان هذا التعليق تفسيراً جيداً للمسند إلى جانب مزايا أخرى نشير إلى بعضها[3] .

فقد رأى حفظه الله فى ترتيب المتن أن يحذف السند « تقريباً للفائدة ونفياً للملل

---

(١) راجع ص ١٢ من ج ١ .　　(٢) راجع ص ٢٤ من الجزء نفسه .

(٣) راجع ص ٣ - ٤ من ج ١ ، أسفل .

والسآمة » فى هذا العصر ، وله فى ذلك أسوة حسنة بما عمل الإمام البغوى فى كتابه مصابيح السنة ، والحافظ ابن كثير فى كتابه جامع الأصول وغيرهما . إلا أنه يعلم ما لذكر الأسانيد من فائدة ، بل هو كما يقول عند الحفَّاظ والإخصائيين من رجال الحديث نصف علومه ؛ لهذا رأى أن يأتى على السند كاملا فى التعليق ، وبهذا جمع بين الحسنيين .

وكذلك ضبط غريب المتن وشرحه شرحاً موجزا شافيا ، وترجم — فى المناسبات — للرواة من الصحابة وغيرهم ، وبيّن حال كل حديث مع ذكر من أخرجه غير ابن حنبل ، راجعاً فى ذلك إلى أمهات المراجع المتبرة . ثم ، وهذا أمر هام جداً ، أشار فى كل باب إلى مايستفاد منه فى الفقه ، مع ذكر من ذهب إليه وأخذ به من الأئمة المجتهدين ، مضيفا إلى ذلك كله شواهد وفوائد أخرى فى كثير من المواضع .

وأخيراً ، هذا الكتاب الضخم الجليل كيف رتبه صاحبه على وجه يجعل الفائدة منه ميسورة ومحققة كما قلنا ، يذكر شيخنا الكبير أنه قسم الكتاب مرات متعددة لم تطمئن نفسه لواحدة منها ، ثم سأل الله أن يختار له ما فيه الخير فألهمه هذا التقسيم العجيب الذى لايعلم أن أحداً سبقه إليه (١) .

وهذا الترتيب يجعل الكتاب سبعة أقسام ، وكل قسم منها يشتمل على جملة من الكتب ، وكل كتاب يندرج تحته جملة أبواب ، وربما انتظم الباب من هذه الأبواب عدة فصول (٢) .

فالقسم الأول للتوحيد وأصول الدين ، والثانى للفقه بمختلف أنواعه من عبادات ومعاملات وأحوال شخصية وعادات وأقضية وأحكام ، والثالث لتفسير القرآن ، والرابع لأحاديث الترغيب ، والخامس لأحاديث الترهيب ، والسادس للتاريخ ، والسابع وهو الأخير لما جاء من الأحاديث فى الفتن وأحوال الآخرة .

وبعد ! هذا العمل الكبير الذى قضى فيه الشيخ الجليل أحد عشر عاما حتى أتمه ، ثم بذل فى سبيل طبعه ونشره كل مايملك من مال وجهد حتى ظهر منه حتى الآن أربعة عشر جزءاً ، وهو يعيش لأجله وفى سبيله كل هذه السنوات الطويلة وهى

---

(١) ص ٢٤ .

(٢) راجع فى تفصيل ذلك وبيان كتب كل قسم وأبواب كل كتاب ... ص ٢٤ — ٣٠ .

نحو ثلث قرن من الزمان — نقول هذا العمل الذى لاينهض به عادة فرد من الناس إلا بعون من الله ، يجب أن يتعاون أهل الخير والعلم على إتمام طبعه وتعميم نشره ، وحرىٌّ بالمسلمين جميعاً أن يقبلوا عليه وعلى الإفادة منه ، وبخاصة الذين يلحون فى ضرورة تجديد الفقه الإسلامى بالرجوع إلى الـكتاب والسنة من الإخوان المسلمين وغيرهم .

ولا نبالغ إن قلنا إنه عمل لم يسبق له مثيل ، ولم يقبل على مثله فى زمننا فرد لاتسنده جماعة أو جهة من جهات الخير والعلم . كما لانطلب كثيراً إن توجهنا إلى الأزهر ، والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، ووزارة المعارف بمصر وغير مصر من البلاد الإسلامية ، أن تعين كلها على تعميم الإفادة من هذا العمل المجيد ، وبخاصة وقد أنشأت جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العليا وللفقه الإسلامى فى هذه الدراسات مكانة ملحوظة ، كما أن العناية به وبمراجعه الأصيلة تتزايد من يوم لآخر . والله يوفق للخير ، ويعين عليه ، ويهيىء لنا من أمرنا رشدا .

* * *

٢ — المجاهدون

إذا كان العالم الغربى يعيش منذ أوائل هذا القرن العشرين فى ظل الحروب والقتال ، جريا وراء الاستعلاء والسلطان ، فإن العالم الإسلامى أو الشرق يعيش كذلك فى ظل الجهاد ، ولـكنه الجهاد المشروع للدفاع عن الدين والوطن ضد هؤلاء المستعمرين الظالمين المعتدين .

وهذا كتاب لطيف عنى فيه مؤلفه الفاضل بتعريف الجهاد فى الإسلام وأنه مشروع ، ثم بالـكلام عن مظاهر هذا الجهاد وضروبه المختلفة ، ومن هذه الضروب الجهاد السلبى أو مقاطعة العدو بأسهل سبيل (ص ٥ — ٨) .

وبعد ذلك نراه يتحدث عن الحرب وأقسامها فى عرف القانون الحديث ، ويبين أنها على أى قول هى ضرورة اجتماعية مادام فى العالم أقوياء ظالمون . ثم يتعرض فى إجمال دقيق لبيان أن الإسلام دين السلام (ص ١٦ — ٢٢) ، ويسوق لذلك بحق آيات كثيرة من القرآن كلها تبين هذا وتدعو إليه .

فإذا فرغ من هذا أو ذاك ، أدار الحديث على مشروعية القتال فى الإسلام وأسبابه ، ومن هذه الأسباب موقف قريش واليهود وسائر الكفار من الدعوة الإسلامية ، وفى هذا رد أى رد على ما يرمى المبشرون به الإسلام من تحبيذه للحرب وانتشاره بها (ص ٢٣ — ٤٣) .

وكل محارب أو مجاهد يرجو النصر ، وهذا النصر له أسبابه المادية والمعنوية ، فكان لا بد للمؤلف من الحديث عن ذلك كله ، وقد فعل فى إيجاز ممتع واف (ص ٤٤ وما بعدها) .

وقد كان من الطريف بعد ذلك كله ، أن تعرض المؤلف فى إحسان إلى المرأة ودورها فى الجهاد (ص١٢٤ — ١٣٠) ، وإلى حرب العصابات أوالفدائيين (ص١٣١ وما بعدها) ، وقد جعل من هذا ما كان يسمى فى عهد الرسالة « بالسرايا » ، ولعله مصيب فيما رأى ، كما بين حكم القانون الدولى فى هذا الضرب من الحرب (ص ١٣٥ — ١٣٧) .

وقد ختم الأستاذ كتابه الممتع بالحديث عن الفتح الإسلامى وأثره الطيب فى العالم كله ، وعن الغاية منه (ص ١٤٤ وما بعدها) ، وعما كان عنه من النهضة الأوربية فى كثير من العلوم والفنون ، واستشهد فى هذا السبيل ببعض كتّاب أوربا أنفسهم .

نحن إذن ، إزاء رسالة ممتعة مفيدة على وجازتها ، ومما لا ريب فيه أن الناشئة المسلمين سيجدون فيها زاداً لنفوسهم ، وفوائد كثيرة لعقولهم ؟

محمد يوسف موسى

« رأس التواضع أن تضع نفسك عند مَن دونك فى نعمة الدنيا حتى تُعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل ، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل » .

« ابن المبارك »

كلمة صغيرة

سمعت عبد الوهاب الذى يعدونه أكبر مغنى العرب اليوم ، يردد من الإذاعة أغنية يكاد لحنها ينكب على وجهه من الضعف ، ويدخل بعضه فى بعض من التخاذل ، يقول فيها : « الدنيا سيكارة وكاس » .

إى والله ، أحلف لكم لتصدقوا ، ويرددها لتستقر فى الأذهان ، أذهان الصغار الخالية التى تنتظر كل ما يلقى إليها ، ليستقر فيها ، أذهان أبنائنا وبناتنا ، ثم يعطى الحكم فى الصاحين العاقلين ، بأن لهم الويل .

« ويل لمن ليس له كاس ، يا ويله ، يا ويله » .

يقول الإسلام : « إن الويل للشاربين » ويقول هذا الفاجر : « الويل لمن لايشرب» ويعلن ذلك فى مصر الإسلامية ، مصر التى فيها الأزهر ، وفيها الإخوان ، وفيها الرجل المسلم الصائم المصلى محمد نجيب !

الدنيا سيكارة وكاس ! أهذه هى الدنيا ؟ وأين دنيا المكارم ؟ وأين دنيا البطولات؟ وأين دنيا العلم والفن ؟ أننهض هذا الشعب ، ونحاول أن نثير فى دمه إرث الماضى ، وفى نفسه ذكريات النصر ، وفى رأسه العقل النير الحر ، ليحرر أرض الوطن الأكبر من أوضار إسرائيل ، وأرجاس الاستعمار ، ويقيم صرح المجد ، ويسترد من الدهر الدين الذى دنّا به التاريخ ، حتى يصل اليرموك وحطين ، بالمعركة المرتقبة فى تل أبيب ، ويرجع عهد الوليد والرشيد — أنصنع هذا كله بسيكارة وكاس ، يا أيها الناس ؟ !

سيقول قوم : وماذا يؤثر هذا الهراء فى النفوس ، إن هى إلا أغنية نستمتع بلحنها (إن كان فيه متعة) ونغضى عن ألفاظها !

وأنا أسأل هؤلاء : هل يستطيعون أن يفرقوا بين الكلام واللحن ؟ هل يقدرون أن يفصلوا بين اللفظ والمعنى ؟ من يقول (سماء) ولا يتصور مدلول السماء ؟ أو يسمع اسم الكاس ولا يتصور الكاس ؟ وأسألهم : ما أثرها فى نفوس الصغار ؟ ما أثرها ؟ إذا كانوا لا يعرفون فليرجعوا إلى علماء التربية وإلى النفسيين ليعلموا أنها ستكون

فى نفوسهم كصندوق الديناميت إذا وضعته بين أحجار البناء ، تنسف هى وأمثالها من الأفلام (المصرية !) والمجلات (المصرية !) كل مبادىء الخير والرجولة والعفاف .

إن كل كلمة تلقى فى الأذن ، تكون فى النفس كبذرة تلقى فى الأرض ، إذا هى لم تنبت اليوم تنبت غداً أو تنحل فى الأرض فتبدل (تركيب) تراب الأرض ، لا تظنوا أن شيئا يمضى من غير أثر ، ولكن من الآثار ما نحس به ، ومنها ما يستقر فى العقل الباطن .

إن هذه الأغانى ليست أنغاماً فقط ولكنها كلمات ، كلمات إيحاء ، فكيف يتماون خطيب الجامع ، وواعظ الكنيسة ، وكاتب المجلة ، ومعلم المدرسة ، وكل عاقل فى الدنيا على نشر هذه الحقيقة وهى أن السكر شرّ ، وأن للشارب الويل ، فتأتى الإذاعة وهى أقوى منهم جميعاً ، وأعلى صوتا ، فتقول : بل الويل لمن ليس له كاس ، أى أن الويل للأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، والكثرة الكاثرة من أهل الأرض ؟!

أما إذا لم تمنعوا هذه (الأفلام) التى صارت مسبّة لمصر (أعز الله مصر) وعارا عليها ، ولم تقطعوا ألسنة هؤلاء المخنثين : ابن عبد الوهاب وفوزى وكارم والأطرش ، فامنعوا على الأرض هذا الهذَر وأمثاله ، لأنه كفر بالدين وبالأخلاق وبالرجولة وبمجد مصر ، والسلام .

علی الطنطاوی

أعجـــــز !

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

مِن أعجزِ الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

مع العارفين

بلال بن رباح

فى ركب النبوة . . . حين كان ينزل جبريل

وفى صفوة أهل الحق . . . أيام كان بينهم « محمد » صلى الله عليه وسلم . . .

أخذ العبد الحبشى « بلال » مكانه فى السابقين ، لم يمنعه أنه عبد من أن يحرر روحه لله ، ومن أن يكون خازن رسول الله ، ومؤذنه للصلاة . . .

لم يسلم لمغنم دنيوى تبدّى له فى دعوة محمد ، ولـكنه أسلم والبلاء ينزل حوله بكل من أسلم !

كانت « لا إله إلا الله » ثورة أشعلتها العقيدة ، ثورة على ظلم الإنسان لنفسه : حتى لا يعبد هواه من دون الله ، وثورة على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان : حتى يقوم الناس بالقسط لله رب العالمين ... ثورة على الظُلمين فى كل أبيض وأسود . . فسرعان ما وجدت جنديها فى هذا العبد الحبشى الأسود : وقد كان فى ظلمه لنفسه أخف حملا ، وفى ظلم الناس له أوفر نصيباً . . .

كان من أول سبعة أظهروا الإسلام ، ولقى من العذاب مالم يلقه غيره ، وثبت ثباتا لم يقدر عليه غيره من الأحرار . . .

يقول عبد الله :

« أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ؛ فأما رسول الله فمنعه تعالى بعمه أبى طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد » ثم صهروهم فى الشمس . فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا : إلا بلالاً ، فإنه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول . . . أحد . . . أحد . . . »

لماذا خصوه هكذا بالعذاب ؟

ألِلأنهم استكبروا على هذا العبد أن يتطاول إلى عقيدة تخالف عقائدهم ؟

أم لأنهم استهانوا به فأفرغوا فيه غيظهم وشفوا منه الغليل ؟ !

أمّا الأولى فقد زادها ثباته اشتمالا ، وأما الثانية فقد ردها الله عليهم حين اشتراه أبو بكر فأعتقه ؛ يقول إسماعيل بن قيس : اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون بالحجارة بخمس أواق ذهبا ، فقال له المشركون : لو أبيت إلا أوقية واحدة لبعناكه .

قال : « لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته » ، ففغروا أفواههم دهشاً وغيظاً ! !

***

وآثره النبي بثقته طول حياته ؛ وحين تثق النبوة فقد وثقت السماء . . . وحسبه ذلك فضلا لا يؤتيه الله إلا من أحب !

جعله صلى الله عليه وسلم خازنه على ماله . . وفى ذلك يقول عبد الله الهوزانى : « لقيت بلالا فقلت يا بلال : حدثنى كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله وسلم ؟ فقال : ما كان له شيء ، كنت أنا الذى ألى ذلك منذ بعثه الله عز وجل حتى توفى ، وكان إذا أتاه الرجل المسلم فرآه عاريا يأمرنى به ، فأنطلق فأستقرض وأشترى البردة وأكسوه وأطعمه » .

كان خازنه على ماله . . . وأية خزينة هذه . . . إلا خزينة التجرد والعفاف والخلق الرضى ؛ دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده صبراً من تمر ، فقال : ما هذا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ادّخرته لك ولضيفانك ، قال : « أما تخشى أن تكون له سجار من النار ؟ أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا » ! — ويقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أنس . « لقد أُخفت فى الله تعالى وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت علىّ ثلاثون من يوم وليلة مالى ولا لبلال طعام يأكله أحد إلا شيء يواريه إبط بلال » .

عاش هكذا فى حجر النبوة ، واتصل هكذا بخلق النبى ، فلا تعجب إذا رأيت الرسول يطالبه بما لم يطالب به كثيرين غيره ، فيقول له : « يا بلال مت فقيراً ولا تمت غنياً » يقول له ذلك وهو القائل صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح»

ولكنها خصوصية أولاها للذى خصه الله بصحبته ، وميزان عالٍ يعامل به أقرب أصحابه إليه ؛ كأن ضريبة القرب من قيادة الأنبياء أن تعطى ولا تأخذ ، وأن تمضى إلى الله خفيفاً ! !

سأله بلال بعد أن قال له : « يابلال مت فقيراً ولا تمت غنياً » : فكيف لى بذلك يارسول الله ؟ قال : « ما رزقت فلا تخبأ ، وما سئلت فلا تمنع » فقال يارسول الله كيف لى بذلك ؟ قال : «هو ذلك أو النار» .

* * *

كان رضى الله عنه رقيق القلب ، صافى السريرة ، دائم الصلة بالله . . . يقول صلى الله عليه وسلم : « سمعت فى الجنة خشخشة أمامى ، فقلت من هذا ؟ فالوا : « بلال » فأخبره ، ثم قال لبلال : « بم سبقتنى إلى الجنة ؟ » قال يا رسول الله : ما أحدثت إلا توضأت ، ولا توضأت إلا رأيت أن لله تعالى علىّ ركعتين فأصليهما ...

كان فى كل صحوته على وضوء ، وذلك يكشف لك عن حاله مع ربه ! !

* * *

وكان ندىّ الصوت ، وكان رسول الله يحب صوته ، وأكرمه الله فى ذلك بمكرمة ما سبقه بها أحد ، فهو أول من أذن فى الإسلام ، وهكذا ارتفع صوت الإسلام أول ما ارتفع من فم عبد حبشى أسلم : من فم بلال ، حتى يدرك الناس فضله ، وحتى يعلموا أن ليس لأبيض على أسود فضل !

* * *

فلما كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، تجهز بلال ليخرج إلى الشام . فقال له أبو بكر : ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال ، لو أقمت معنا فأعنتنا . قال : إن كنت إنما أعتقتنى لله تعالى فدعنى أذهب إليه ، وإن كنت إنما أعتقتنى لنفسك فاحبسنى عندك ؛ فأذن له فخرج إلى الشام فمات بها !

رضى الله عنه وأرضاه فى الجنة .

وألحقنا به فى الصالحين .

يامسلمون وما لعيني لاترى .·. للمسلمين الوِرْدَ والإصدارا

للدكتور حسان حتحوت(*)

الطبيب بمستشفى المدينة المنورة

حمل الهوى قلبي إليك وَطارا ... يطوى البلاد ويذرع الأقطارا

كأس الحياة إذا نظرت حلاوة ... فإذا شربت بها وجدت مرارا

أأكون صاحبها وهذا سمها ... تسقى الندامى منه والسمارا ؟

إنى لتاركها لأكرم ساحة ... تحوى النبىّ وآله الأطهارا

بلد الألى هاجرتُ من وطنى إلى ... أوطانهم فوجدتهم أنصارا

ذوبت نفسى فى الغرام قصيدة ... وجعلتُ شعرى للوداد شِعارا

ودعوت فيها دعوة أبدية ... يا ربّ حىِّ نبيك المختارا

***

أسعود إن المسلمين بأسرهم ... قد ركّزوا الآمال والأنظارا

شدها على بلد الرّسول محلة ... تجلو ظلاماً أو تقيل عثارا

تنفى بها وبمثلها أسقامنا ... وترد ليل البائسين نهارا

هى من شئون الملك فارفع صرحها ... واحسم بها الأدواء والأوضارا

الشعب فيه هو الأساس وكلما ... قوى الأساس به فلن ينهارا

ارقأ مدامعه وواس جراحه ... وأعدّه للمكرمات كبارا

زمن القوى وعالَم لا يستحى ... أن يستبيح دم الضعيف جهارا

إن لم تكن تلك الجسوم قوية ... لم تلف جندياً ولا طيارا

فأعد ما يحى الجسوم كليلة ... وأعد ما يهدى النفوس حيارى

واسأل رجال الطب عن أدوائهم ... ودوائهم يجلوا لك الأسرارا

(*) ألقيت فى افتتاح مستشفى المدينة المنورة فى حفل حضره جلالة الملك سعود .

إنا نحس قلوبهم وصدورهم ونفوسهم والسمع والأبصارا
نجرى المباضع بالشفاء وتارة نجرى الكلام وننظم الأشعارا

* * *

يا مسلمون وما لعينى لا ترى للمسلمين الوِرد والإصدارا
دار الزّمان عليهمو فتغيروا ليت الزّمان عليهمو ما دارا
سكنوا إلى الدنيا سكينة غافل يا ويل للدُّنيا الغرورة دارا
حسبوا بأن الدِّين عزلة راهب واستمرءوا الأوراد والأذكارا
عجباً أراهم يُؤمنون ببعضه وأرى القلوب ببعضه كفارا
والدّين كان ولا يزال فرائضا ونوافلاً لِلّه واستغفارا
والدّين مصباحٌ حملنا نوره لنبثّ ما بين الدّجى أنوارا
والدين ميدان وصمصام وفر سان تبيد الشرّ والأشرارا
والدّين عزّ المسلمين فما ارتضى فى أرضهم ذلاًّ ولا استعمارا
والدّين حكم باسم ربّك قائم بالعدل لا جوراً ولا استهتارا
ذاك الهدى يا من يسائل ما الهدى ؟ فبأىّ لألاء الهدى تمارى

* * *

وانظر عِداة المسلمين فإنهم داءٌ أناخ على الحمى وأغارا
متنافرين فإن تراءى مسلم حسموا الخلاف ووحّدوا الأوطارا
خوف من الإسلام يملأ قلبهم رعبًا ويزكى فى الجوانح نارا
مهلاً عداة الله إن غرتكمو دنيا شهدنا حالها أطوارا
حاصرتمُ الدّنيا فهل فى طوقكم أن تحكموا حول اليقين حصارا
يا ربّ ثبتنا بيوم موشك نهبُ الدّماء لديه والأعمارا
يا ربّ هدّ الظالمين ولا تذر منهم على أوطاننا ديّارا

* * *

ولرب جرح فى فلسطين جرى بدم فأجرى المدمع المدرارا
ما زال ينتظر الدّواء كتائبا تهوَى الحمام وأنفسًا أحرارا

سنرده ونردهم عن أرضه ونفك عنه ربقة وإسارا

ما بال جبار الحديد كأنه نسى الإله الواحد الجبارا

قد قرّروا ما قرّروه وإننا دون الكرامة لا نقرّ قرارا

* * *

أملا بنى الإسلام هذى يثرب تحيي اليقين وتحفز الأحرارا

بلد الرّسول ، وأىّ درس ناصع عمر القلوب وأطرب الأفكارا

هذا رسول الله يمم شطره يطوى إليه مهامهاً وقفارا

يغشى المخاطر ما له إلا السرى ليلاً وإلا الاختفاء نهارا

حتى أتى غاراً فألهم أنه وصديقه يستوطنان الغارا

والكفر عصبته تنقّب عنهما تتلمس الأخبار والآثارا

بلغت مكانهما فلم تشهدهما فقْدُ البصيرة يذهب الإبصارا

أضحى ببيض للحمام وقاية وغدت خيوط العنكبوت ستارا

* * *

يا رب ليس لنا سواك وإننا لم نلف غيرك راحمًا غفارا

بارك لنا فيما يصير به المدى من أمرنا واغفر لنا ما صارا

يا رب إنّ الناس ضل ضلالهم فتجبروا واستكبروا استكبارا

ثار العباب بنا فنج سفيننا واهد الرّياح وسخّر التيارا

يا رب نهضتنا على دين الهدى بنيت فمزت رفرفاً وجدارا

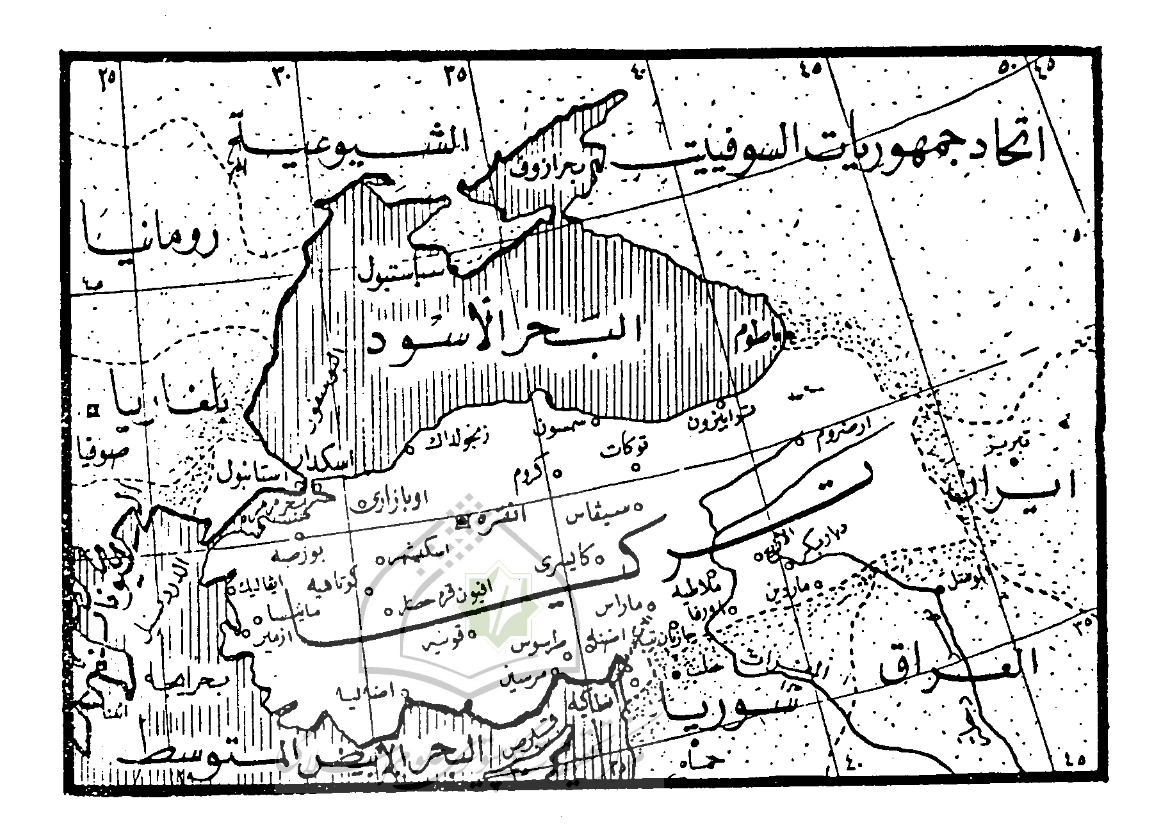
خيلٌ نعد رباطها ومهنّد ما زال فى كفّ الهدى بتارا

وعقيدة وعزيمة وحكومة تخذ الكتاب هداية ومنارا

إنا دعونا فى جوار محمد عزّ الرّسول شفاعة وجوارا

تركيا

بقلم الأستاذ صاحب التوقيع



معلومات عامة :

١ — تدل إحصاءات عام ١٩٥١ أن عدد سكان تركيا يزيد على العشرين مليوناً ، الغالبية العظمى منها ترکی ، والأتراك جميعاً مسلمون .

٢ — تشغل رقعتها مكاناً متوسطاً ممتازاً ، تتمثل فيه الفصول الأربعة فى وقت واحد . يحيط البحر بجانب عظيم منها ، وتتغلغل داخلها الأنهار كالشرايين فهى غنية بالميـاه .

٣ — الأمة التركية أمة مسلمة بالطبع ، جميع أفرادها مسلمون . . . حتى إن كلمة « ترکی » أصبحت مرادفة لـكلمة « مسلم » ومن لم يكن مسلماً فليس تركياً . ولا عجب فهذه الأمة لم تعرف معنى الحياة والحضارة ، ولم تذق طعم العزة والصدارة إلا بالإسلام .

نبذة تاريخية :

حتى ثلاثين سنة خلت ؛ كانت الإمبراطورية الإسلامية العثمانية قائمة تشغل من هذا العالم معظمه ، لقد أسسها « عثمان » ؛ وأقام دعائمها « محمد الفاتح » على أسس متينة من الإيمان . وتعاقب على الإمبراطورية خلفاء صالحون ، عاملون ناصبون ، لم يغمض لهم طرف حتى أعادوا للدولة الإسلامية سابق مجدها وسالف عهدها . ولقد نعم المسلمون فى كنف هؤلاء بالعدالة الإسلامية السامية دون ما تفريق بين الجنس واللون فكان الجميع سواء . وأعقب هؤلاء بحكم الوراثة — التى ليست من الإسلام فى شىء — خلفاء أخلدوا إلى الراحة وقعدوا عن الجهاد واستسلموا لأسباب الترف والشهوات ؛ وكان نتيجة ذلك الضعف والانحلال والمجون والفساد . واستيقظ الغرب على الدولة العثمانية الإسلامية مرفوعة اللواء مترامية الأرجاء ، إلا أن الضعف قد تسلل إليها والعلل قد تألبت عليها ، فكان أول عمل له تفتيت هذه الدولة وازدراد أجزائها . وتكاتفت قوى الشر : الصهاينة من اليهود يتآمرون على قلبها « فلسطين » فيطلبون إلى « عبد الحميد » أن يقطعهم إياها فيأبى ، فيمكرون ويدبرون أمرهم . والروس يسرعون دون ما انتظار إلى اختطاف ما يليهم من مدن وأمصار . وأما « الإنجليز والفرنسيس » فإنهم كانوا أبعد نظراً ؛ لقد أجمعوا أمرهم واليهود يمزقون هذه الدولة ويفرقون شملها دون حرب أو قتال . وانتشرت الجمعيات الماسونية والصهيونية ، وانقلب المسلمون آلة فى أيدى أعدائهم يحركونهم كيفما يشاءون . . . وبرزت إلى الوجود حركة « التتريك » . لقد أخذت صبغة الدولة العثمانية تتحول إلى قومية بحتة ، ومضت جماعة « الاتحاد والترقى » تحاول تتريك الدولة ورعاياها من المسلمين الذين ينتسبون إلى أمم ما كانت لتتألف إلا فى الله . وتفرق المسلمون إلى شعوب متفرقة ، وفرق متخاصمة ، فسهل على أعداء الإسلام الذين يتربصون به الدوائر ابتلاعها ، فالتهموها لقمة سائغة ، وتقاسموها فيما بينهم غنيمة باردة ؛ وفى مقدمة كل ذلك لُبُّ الدولة وموطن بنى عثمان . . . « تركيا » .

حاضر تركيا :

ولكن تركيا اليوم دولة حرة مستقلة ، لا تتداعى عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . . . فما هو سر هذا التحوّل ! ؟ إن زيارة عابرة لأمهات المدن التركية ، ووقوفاً بسيطاً على سير الحياة فيها ومقوماتها تكفى لأن تدرك أن تركيا اليوم ليست مستقلة فى كل شيء ولا حرة فى كل شيء ، وأنها إنما تسير بخطى سريعة إلى الانحلال والاضمحلال . إن كل شيء فى هذه المدن — عدا المساجد ومن رحم ربك من عباده — يدلك على بعدها عن الإسلام : الأخلاق منحلة ، والمفاهيم مقلوبة مشوهة ، والإلحاد قد أنشب أظفاره ، وحكومة لا دينية هى أخطر على الإسلام والمسلمين من أهل الكتاب والمشركين ، وجيل جاهل تمام الجهل بحقيقة الإسلام . والأمراض الاجتماعية والبدنية تنتشر حيث الفساد والرذيلة ، وقد بلغت فى تركيا نسباً خيالية تنذر بشر مستطير !

وخلف هذه البلاد يقوم « الأناضول » المسلم المجاهد ، فيه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، يعمر قلوبهم إيمان لا يتزعزع ، وروح مسلمة تلتهب حماسة وتفيض شوقاً إلى إلى إعلاء كلمة الله ، وتذوب تأثراً على ما رماه به انقلاب « أتاتورك » من الناحية الدينية والاجتماعية من المآسى والأهوال . هنا الفرد المسلم والبيت المسلم ، هنا ينبوع القوة ، هنا الجندى التركى المؤمن المجاهد الصبور ، الذى كان ولا يزال العنصر الأساسى الذى يمنع هذه الدولة ويرد عنها غارات المغيرين واعتداءات المعتدين ... إلى هنا لجأ « أتاتورك » منذ ثلاثين سنة خلت وقد تقاسمت الأراضى التركية قوى الكفر . . لجأ يستنفر الأتراك يحاربون المستعمر ويخرجونه . . لقد كان يستثير غيرتهم الإسلامية ويستنهض هممهم المؤمنة ، ويصور لهم نفسه رجلاً تقياً ورعاً لا يترك صلاة ولا دعاء . فنفرت تلك العصبة المؤمنة وحملت سلاحها ، بعد أن انضم الجيش وعلى رأسه الرجل المؤمن « فوزى جقمق » رحمه الله ، ومضوا يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وهتافهم « الله أكبر » فطردوا المستعمرين الدخلاء شرّ طردة وأجلوهم عن بلادهم . وما أن استتب الأمر حتى برزت حقيقة أتاتورك وانحسر قناعه ، فمضى يساوم فى « لوزان »

عصبة أعداء الإسلام فقبل « اللادينية » المفروضة عليه منهم متحدين ، وصادفت هوى فى نفسه فانكفأ يفتك بالمتدينين والمؤمنين ، ويقصى العاملين المخلصين ، ومده أولئك بثلة من رجال الظلم والفساد وضموا أساس انقلابه المشهور الذى حاولوا به القضاء على كل ما يتصل بالإسلام بحجة أنه السبب الأول للتأخر والجهل ، وأقاموها تركية جاهلة ملحدة ، وعكفوا على كل شيء له صلة بالإسلام يمسخونه : يحورونه أو يستأصلونه ، فالأذان تركى والقرآن تركى ، والحروف لاتينية ، والقبعة إجبارية . وبرامج الدراسة فيها كل شيء إلا الدين ، وعطلة الأسبوع الأحد ، وأما القوانين والأحكام والشرائع فجميعها مستوردة مستعارة من أوربا وشعارهم فى كل ذلك تقليد أوربا والائتمام بها . وأخبرنى أحد كبار المشتغلين بالحركات الإسلامية أن أعضاء الانقلاب اجتمعوا فيما بينهم يتدارسون أمر الإسلام والقرآن . . . فاقترح البعض تمزيق القرآن ومنع استيراد أو طبع بدله حتى يستتب الأمر للانقلابيين لأنه ما دام فيهم فإنه سيظل مصدر قلاقل ، إلا أن غالبية جماعة الانقلاب رفضوا هذا الاقتراح وأجمعوا أمرهم أن ينشئوا جيلا يتولى هو بنفسه تمزيق القرآن ؛ وذلك بالإعراض عنه وعدم تطبيقه وهو هذا الجيل الآنف الذكر .

الحركة الإسلامية الحديثة :

(ا) حزب الأمة :

كان أول غراسها حينما تبين المشير « فوزى جقمق » عقب الانقلاب خيانة « أتاتورك » ونقضه للعهد وجموحه إلى الإباحية ومحاربته للإسلام ، فأخذ على نفسه أن يدأب طول حياته على إعادة تطبيق الإسلام فى بلده ، فأسس لذلك حزبا أسماه « حزب الأمة » "Sbiccet partisi" إلاّ أن جماعة الانقلاب لم يلبثوا أن حاربوه بشدة ودسوا فى صفوفه من أتباعهم من يضمن بقاءه بعيداً عن الغاية المنشودة منه .

(ب) الحركة النورية :

والخطوة الثانية كانت « الحركة النورية » وهى مأخوذة من الآيات القرآنية التى تشير إلى غاية الإسلام ؛ وهى إخراج الناس من الظلمات إلى النور :

« يخرجهم من الظلمات إلى النور » . « ليخرجهم من الظلمات إلى النور » . . الخ .
ولقد أسسها عالم كردى جليل هو « سعيد النورسى » ويلقب بـ « بديع الزّمان » ، كان عضواً فى المجلس الملى الكبير الأول الذى أسسه « أتاتورك » وعاصر الحركة منذ نشأتها ، وما أن اتضح أنه من المعارضين للانقلاب حتى زج به فى السجن ، وأخذ يسام سوء العذاب وقد وضع أسس دعوته فى السجن ، وما أن غادره حتى مضى يدعو الناس إليها . وتتمثل دعوته فى كتبه الكثيرة المنتشرة : « دليل الشباب » ، « عصا موسى » . . الخ . ولقد شرح لى ذلك مؤسس الدعوة بنفسه حين التقيت به ، وهو شيخ قد تجاوز التسعين ، قائلا : نحن نحاول هنا أن ننقذ الإسلام . لقد أتى على بدء الحركة خمس وعشرون سنة وهى تعمل بصورة سرية وقد تفشت تفشياً فى كل مكان حتى اكتسحت أخيراً الجامعات والمعاهد ، وأخذت تصادف فى كل مكان طلابها ومريديها .

الحركة الإسلامية والحكم :

لقد أفلحت الدعوة النورية فى خلق وعى عام إسلامى فى تركيا ، ظهر أثره فى الانتخابات الماضية إذ نقم الشعب على حزب الشعب الجمهورى Cumhuriyet Halk-p. وهو حزب أتاتورك الذى انفرد بالحكم زهاء ربع قرن ، واشتهر بتمسكه الشديد بالانقلاب ومحاربته للدين ، فأزاحه عن الحكم وفى مقدمته « عصمت إينونو » ونصر الحزب الديمقراطى "Demokrat - p." وعلى رأسه « جلال بايار » نتيجة للوعود الكثيرة — قبل الانتخابات — بإعادة الإسلام ونشر لوائه . ولم تكد تستقر الأمور حتى اكتفت الحكومة الجديدة من وعودها بشكليات بسيطة كإعادة الأذان عربياً ، والسماح بإذاعة القرآن لمدة دقائق عشر صباح الجمعة ، وأذنت بافتتاح مدارس للأئمة والخطباء شريطة أن يشرف عليها ويسدد نفقاتها المسلمون بما يجمعونه من أموال ، وتدريس الدين الإسلامى فى المدارس الابتدائية بشكل بسيط جداً . وهكذا خاب أمل جماعة الحركات الإسلامية فى هذا الحزب وانفض عنه وعقد العزم أن يؤسس جماعة رسمية ، مستفيداً من خبرته السابقة ومعرفته بمنطق جماعة الانقلاب وكان أن ولدت جماعة رابطة القوميين الأتراك Türk Milliyetçikr Dernegi وفى ظرف

أسبوع واحد افتتحت الرابطة ماينوف على الثمانين شعبة وانتظم فى سلكها نخبة من الأساتذة والأطباء والمهندسين والمحامين والصحفيين ، وانتشرت صحيفتهم « مفكورة Mefküre فى كل مكان وتعددت بياناتهم القوية ، فانتبه الحزب الديمقراطى وبقية الأحزاب التى تساند الانقلاب ومن ورائهم الماسونيون والصهيونيون وعملاء الاستعمار ، وأوقعوا بالرابطة ضربتهم الظالمة ، فأغلقوا شعبها ، وصادروا أموالها وعطلوا صحفها واعتقلوا رؤساءها بتهمة الرجعية والتآمر على الانقلاب ، وانقلبت الحكومة التى كانت تدعى نصرة الفكرة الإسلامية تحاربها بشكل لم يسبق له مثيل فى تركيا ، لقد طاردتهم فى كل مكان واعتقلت وقدمت إلى المحكمة عدداً ضخماً حتى ضاقت بهم السجون والمعتقلات وأخذت تلحق العذاب بكل من تشم منه رائحة التدين والإيمان . ولقد بطشت الحكومة مؤخراً بطشتها الأخيرة بإغلاق حزب الأمة : حزب جقمق الذى سلف ذكره Millet partésé حين شعرت بقوته .

قراران :

ومن أغرب أحداث هذا العام قراران أصدرتهما الحكومة التركية فى معرض محاربة الفكرة الإسلامية فأثار ضجة بالغة ، وتعليقات مفصلة ؛ القرار الأول هو :
« قانون حماية أتاتورك » : .Atatürk Koruma Kanunu

والثانى «قانون حماية الانقلاب» : .Inkilâp Koruma Kanunu . وهما قانونان يحتويان على عقوبات صارمة تطبق على من يتناول بالتحقير أو بالقذف أتاتوركاً أو يحطم تماثيله ويمزق صورة كما فعل بعض المتحمسين للفكرة الإسلامية فى العام الماضى ، وكذلك على كل من يحارب الانقلاب أو يدعو ضده ، وكأنى بالحكومة تعلن بهذين القانونين أن « أتاتورك » فى خطر . . . أتاتورك الذى كان يتوهم الناس أن الشعب التركى يقدسه ويعبده ، فى حين أن الذين يقدسونه هم جماعة الانقلاب من الإباحيين والملحدين ، وأما عامة المسلمين من الأتراك فيقال بأن الصور الوحيدة التى لم يمزقوها هى صورة مصطفى كمال على العملة التركية ، وأما التماثيل فقد كسر قسم كبير منها فى الحركات الماضية . والحقيقة الثانية التى وصل إليها المتبصرون بحقائق الأمور هى أن الشعب التركى لم يتخل عن عقيدته المسلمة وعن إيمانه ، ولم تفلح جهود حكومات الانقلاب المتعاقبة لمدة ثلاثين سنة على تعويده على اللادينية ، وباءت كل

محاولة من هذا النوع بالفشل الذريع . كل هذا وغيره يدل دلالة واضحة على شدة تمسك الشعب التركى بالإسلام ، وأما حملة الفكرة الإسلامية فإن هذه المحاربة لا تزيدهم إلا إيماناً . والإلحاد والمجون والإباحية التى تنتشر فى أمهات المدن التركية ، وعلائم الانحلال التى تتمثل فى طائفة الملحدين الفاسدين هى الحجج القوية فى أيدى دعاة الإسلام .

كلمة مجملة :

إن الدعوة الإسلامية فى تركيا آخذة فى الانتشار ، وتكسب فى كل يوم أنصاراً جدداً ؛ إلا أن ما يجدر ذكره هنا هو أن هذه الحركة فى مسيس الحاجة إلى التوجيه الصحيح . فالفكرة القومية التى طغت فى تركيا قد امتدت حتى إلى بعض رجال الحركة الإسلامية الذين أخذت تساورهم العقيدة فى القومية التركية إلى جانب الفكرة الإسلامية وذلك يشوه أحيانا إيمان بعض الشباب المتحمس للإسلام ويؤثر فى تفكيره .

وكذلك فالناحية العملية تنقصهم ، وقد ألفيت الكثير منهم متحمساً للعمل ولكن لايعرف السبيل إليه . إنهم يعملون ليلاً ونهاراً فى نشر الدعوة ويبذلون جهدهم فى التفقه فيها، ولكنهم لا يعرفون الخطوات العملية التى يسلكونها لخلق الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم .

إن تركيا اليوم تسير بخطوات واسعة نحو النور !

(م . . ع . . .)

تطاول بجهالة

زعموا أن أرنباً سمعت العلماء يتكلمون فى مصير هذه الدنيا ، ومتى يتأذن الله بانقراضها ، وكيف تكون القارعة ؛ فقالوا : إن فى النجوم نجوماً مذَنَّبة لو التف ذنب أحدها على جرم أرضنا هذه لطارت هواءً كأنها نفخة النافخ ، بل أضعف منها كأنها زفرة صدر مريض ، بل أوهى كأنها نفثة من شفتين .

فقالت الأرنب : ما أجهلكم أيها العلماء ! قد والله خرفتم وتكذبتم واستحمقتم ؛ ولا تزال الأرض بخير مع ذوات الأذناب ، والدليل على جهلكم هو هذا . . . قالوا : وأرتهم ذنبها ! . « عن وحى القلم للرافعى »

فى أفق العالم الإسلامى

* انتخابات السودان
* جلالة الملك سعود
* فلسطين فى شهر

انتخابات السودان :

لعل من أهم أحداث هذا الشهر ما ظهر من نتائج انتخابات السودان ، وهى فى ذاتها دليل على ما بين مصر والسودان من وشائج حاولت السياسة البريطانية دهراً طويلا أن تنال منها ، وأن تصورها للرأى العام العالمى بعكس صورتها . أما أثر هذه النتائج عمليا فهو أمر يجب أن نحسب له كل حساب ، وأن نتوقع من الإنجليز أن يستخدموا كل حيلهم وصنائعهم لإفساد ما تم . وأملنا أن تنجح السياسة المصرية وإخواننا السودانيون فى الحيلولة دون ذلك ، وألا تحرم السودان من وحدة أبنائه و سلامة أنفسهم وأخلاقهم فى هذه المرحلة الدقيقة .

جلالة الملك سعود :

تولى جلالة الملك سعود عرش البلاد العزيزة بعد وفاة والده رحمه الله ، وإنا لنرجو أن يكون عهده على المملكة العربية السعودية وعلى الإسلام مباركاً ميموناً . وقد قال جلالته لوفد الإخوان المسلمين فى مكة إنه يعتزم أن يوطد ملكه على كتاب الله وسنة رسوله ، وإن الشعب الذى أظهر من الوفاء ما أظهر سيجد الرعاية الكاملة به فى ظل عدالة الإسلام ، وإنه ناهض بمرافق البلاد جميعاً إن شاء الله .

وإن المسلمين الذين تهفو قلوبهم إلى البلاد المقدسة ، ويتجهون إلى بيتها الحرام فى كل صلاة ، ليضرعون إلى الله أن يجرى على يد « سعود » الخير لدينه وبلاده ، وأن يؤيده بروح منه فى كل صالحة تعز الإسلام والمسلمين .

فلسطين فى شهر :

مؤتمر القدس :

وجهت جمعية إنقاذ فلسطين بالعراق ومكتب الإسراء والمعراج الدائم فى القدس الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامى عالمى فى القدس الشريف ، دعت إليه أولى الرأى من المسلمين للبحث فى الأخطار العظيمة اليهودية والاستعمارية التى تهدد بيت المقدس ، وللعمل على حماية فلسطين والمقدسات الإسلامية فيها من المطامع والاعتداءات اليهودية .

وقد حدد السابع والعشرون من ربيع الأول ١٣٧٣ موعداً لانعقاده ويستمر أسبوعاً ، وقد لبت الدعوة إليه وفود كثيرة ، وسافر رئيس التحرير إلى بيت المقدس ليشهد هذا المؤتمر .

لم تكن جريمة اليهود الوحشية فى قبية فى ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ آخر حوادث العدوان على الحدود فقد تلتها حوادث متعددة متفرقة على الجبهتين الأردنية والمصرية .

ولم تكن كل جرائم اليهود حوادث حدود وقتل أفراد متفرقين من فلاحين أو رعاة أو صيادين ، بل إن جرائمهم اتخذت مظهراً آخر — وإن لم يكن جديداً — عندما تسرب إلى المدينة القديمة فى القدس نبأ من المدينة الجديدة بأن اليهود قد حولوا مسجد النبى داود ، المسجد التاريخى الكبير ، إلى كنيس يهودى . كما سبق أن فعلوا بكثير من المساجد من قبل .

وكان من آثار مذبحة قبية أن تحرك الرسميون العرب فى الشهر الماضى فاجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى عمان فى دورة استثنائية انتهت باتخاذ قرارات بتعزيز وسائل الدفاع على خطوط الهدنة .

وتقدمت الدول العربية الأعضاء فى الأمم المتحدة بشكواها إلى مجلس الأمن ضد الاعتداء الغادر ، انتهى بالموافقة على قرار تقدمت به الدول الغربية الكبرى الثلاث ، يقضى بتوجيه اللوم الشديد إلى إسرائيل . .

وكانت الحكومة السورية أيضاً قد تقدمت بشكوى إلى مجلس الأمن تطلب فيها منع إسرائيل من تحويل مجرى نهر الأردن ، وتحرج الموقف على الحدود فطالبت الحكومة الأمريكية من اليهود وقف العمل فى المشروع ، إلا أن مجلس وزراء إسرائيل أعلن رفض الرضوخ لهذا الطلب ، فأعلن الرئيس أيزنهاور قطع المعونة الاقتصادية الأمريكية عن إسرائيل ، إلا أنه ما لبث أن عاد وألغى هذا القرار بعد أن صرح مندوب إسرائيل فى مجلس الأمن بأن حكومته قررت وقف أعمالها فى تنفيذ المشروع موقتاً حتى يبت المجلس فى شكوى سوريا بهذا الشأن . فى حين أن الحكومة السورية تؤكد استمرار أعمال الحفر بل زيادة عدد العمال المشتغلين فيه ، وأن العمل يستمر فيه ليلاً على ضوء الأنوار الكشافة .

وكان واضحاً أن الطريق الذى سارت فيه القضية الفلسطينية بعد أن أثارتها حوادث العدوان الأخيرة فى المحافل الدولية إنما هو طريق رسمه ساسة اليهود بدقة وإحكام بالاتفاق مع أصدقائهم الأمريكيين .

وكان الغرض الأول من هذه المجزرة الوحشية هو إرهاب السكان العرب وإجلاءهم عن القرى الأمامية تمهيداً للتوسع والاستيلاء على ما بقى من الأراضى العربية وفى مقدمتها مدينة القدس الشريف .

والغرض الثانى هو توجيه الرأى العام العالمى إلى عدم استقرار الحال فى المنطقة وضرورة حل المشاكل والمتاعب التى يعانيها اليهود من جراء الحصار الاقتصادى والضائقة المالية ، بحمل الأمم المتحدة على إرغام العرب على عقد الصلح مع إسرائيل .

ويؤيد هذا النظر ظهور المشروع الذى حمله مستر جونستون مبعوث الرئيس أيزنهاور فى هذا الوقت بالذات لحل مشكلة النزاع على الأردن والذى ينظم استغلال مياه النهر فى الرى وتوليد الكهرباء بالتعاون بين إسرائيل والدول العربية المجاورة ، وإسكان عدد من اللاجئين وتشغيلهم فى هذا المشروع الذى تموله وتحمل عبئه الحكومة الأمريكية الحريصة على حماية إسرائيل وتأمين مستقبلها ، وحل مشكلة اللاجئين الذين يشكل وجودهم خطراً كبيراً عليها ، وتصفية القضية الفلسطينية نهائياً .

والحكومة الأمريكية لحرصها الشديد على هذه الغاية تتحايل على إصرار العرب على عدم الاتصال باليهود والتعاون معهم وتدعوهم إلى عقد اتفاقيات ثنائية معها ، حيث تقوم هى من ناحيتها لعقد اتفاقات مماثلة مع اليهود تحقق الغاية التى تتوخاها من عقد اتفاق مباشر بين الطرفين .

واستقبل اللاجئون الفلسطينيون فى مطلع هذا الشتاء فصل الشتاء السادس عليهم وهم فى محنتهم هذه .

وفصل الشتاء بالنسبة للاجئين كارثة فوق كارثتهم ومحنة تضاف إلى محنتهم ، حيث تغطى الثلوج الكثيفة بعض مناطقهم وتقتلع العواصف خيامهم وتجتاح السيول أكواخهم ويعانون فيه أسوأ حالات البؤس والشقاء .

ولو كان هذا الشتاء الأول لاحتملوه ، ولوكان الأخير لصبروا عليه ولكنه الشتاء السادس ، وليس فى أفق جامعة الدول العربية ما يبشر بأنه سيكون الأخير ، فإن سياستها مازالت على ما كانت عليه لم يصبها تغيير ولا تبديل .

والذى لاشك فيه أن العدوان اليهودى لن يتوقف ، وأن اللاجئين موقفهم لن يتحسن فى ظل هذه السياسة ولعل صحيفة صندى ستار الأمريكية قد أصابت عندما علقت على موقف الدول العربية من الحوادث الأخيرة بقولها : إن الدول العربية غير راغبة فى استئناف القتال ، هى تميل إلى توجيه النقد اللازم إلى الإسرائيليين أكثر مما تميل إلى إطلاق قواتها ضدهم .

Production must be made to slave for humanity but not enslave humanity to it. Pleasure must be considered a human right but not a tyranic master. It is only in the faith in God that human nature can hope to restore its position in front of the menace of mechanism and pleasure. But this faith should never be a hindrance to the brain, nor a prison to instinct, nor a barrier to production, and the progress of humanity.

Thus, Islam appears and stands unique as the key to all these worldly problems and one can but feel ths urgent need of humanity to it.

The need of individual conscience to faith and peace.

The need of the family to a state of steadiness and protection.

The need of the whole world to mutual understanding and help.

The need of the individual's faith in his existence and aim in life.

The need of society to protection, equilibrium and stability.

The giant tree of civilization is swaying today as it did before the birth of the man who was to unite the whole world. How urgent is the need of humanity to the message of this man to save it once more from dastruction.

Humanity is in need of us, in need of our faith, our priucipals, our laws, our social ways, which grant satisfaction and security to the individual and help peace find its way to reign in the conscience, home and society of this universe of ours.

It is from this urgent need and from our faith in God, that we derive the strength and earnestness in the call to embrace Islam. We shall remain true to this principal and aim even though we be surrounded by evil on all sides.

Yes, humanity is in a sore need to the teachings of Islam and this intensifies the crime of those who seek to oppress and destroy the Islamic movement.